جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التَّربية للعلوم الإنسانيَّة
قسم التَّاريخ/ الدَّراسات العليا

اليهود وأوضاعهم الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة في انكلترا(١١٥٤-١٢٩٠م)

أُطروحة مقدَّمة
إلى مجلس كلية التَّربية للعلوم الإنسانيَّة- جامعة ديالى
وهي جزء من متطلَّبات نيل شهادة الدّكتوراه فلسفة في التَّاريخ الحديث

من الطَّالب
سعد جميل خلف جميل الحياليّ

بإشراف
الأستاذ الدكتور
وسام علي ثابت الجبوري

١٤٤٧هـ ٢٠٢٥م

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ
النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ
كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

صدق الله العظيم

{سورة البقرة: الآية ١١٣}

الفصل الأول

اوضاع اليهود الاجتماعية والاقتصادية خلال عهد الملك هنري الثاني١١٥٤-١١٨٩

المبحث الاول : اوضاع اليهود الاجتماعية خلال عهد الملك هنري الثاني حتى عام ١١٨٩م

المبحث الثاني: أوضاع اليهود الاقتصادية خلال عهد الملك هنري الثاني حتى عام ١١٨٩م

المبحث الثالث: اثر الحملات الصليبية على أوضاع اليهود في إنكلترا ١١٥٤-١١٨٩م

المبحث الاول

اوضاع اليهود الاجتماعية خلال عهد الملك هنري الثاني حتى عام ١١٥٤-١١٨٩م

اولاً: موقف الملك هنري الثاني من اوضاع اليهود اعقاب الحرب الاهلية:

على الرغم من الاضطهاد الذي تعرض له اليهود ابان الحرب الاهلية[١]، شهدت أوضاعهم تحسنًا ملحوظا في عهد الملك هنري الثاني(Henry II)(١١٥٤-١١٨٩) [٢]، فقد وصف عهده بالعصر الذهبي للجماعة اليهودية[٣]، فبعد المعاناة

---

(١) الحرب الاهلية الانكليزية: وهي الحرب التي دارت رحاها للأعوام (١١٣٨-١١٥٣) بين ستيفن بلو والامبراطورة ماتيلدا نتيجة لخلو العرش بعد وفاة الملك هنري الاول عام ١١٣٥، فقد ادعى ستيفن بلو بالعرش الانكليزي وسيطر على انكلترا، بالمقابل سيطرت الامبراطورة ماتيلدا على النورماندي مطالبة بالعرش لابنها هنري الثاني، ودارت العديد من المعارك بينهما نتيجة لذلك، ولم تنته تلك الحرب إلا بعد ان اعترف ستيفن بلو بأحقية هنري الثاني ابن الملك هنري الاول بالعرش عام ١١٥٣، وبعد وفاة ستيفن بلو عام ١١٥٤، نصب هنري الثاني ملكًا لإنكلترا. لمزيد من التفاصيل ينظر:
The Encyclopedia of Medieval Literature in Britain, 4 Volume Set, Wiley, New York, 2017, p.83.

(٢) (١١٣٣- ١١٨٩) هو ابن جيفري الخامس كونت انجو(Geoffroy V)، وُلد في لومان بفرنسا عام ١١٣٣، تم تنحية مطالبة والدته ماتيلدا ابنة هنري الأول بالتاج الإنجليزي من قبل ابن عمها الملك ستيفن بلو، بعد أن تلقى هنري تعليماً جيداً في إنكلترا أصبح هنري دوق نورماندي عام ١١٥٠، وكونت أنجو بعد وفاة والده جيفري بلانتاجنت في عام ١١٥١، وفي عام ١١٥٢، زاد من ثروته بالزواج من إليانور التي انفصلت عن الملك لويس السابع ملك فرنسا فجلبت معها سيادة آكيتاين، وفي عام ١١٥٣، غزا هنري إنكلترا، فوافق الملك ستيفن على قبوله مساعداً ووريثاً للعرش، وبوفاة الاخير في العام التالي أصبح هنري الثاني سيداً لأراضٍ تمتد من اسكتلندا إلى جبال البرانس وحكم إنجلترا خلال المدة (١١٥٤ – ١١٨٩) نجح خلالها في توسيع الممالك التي ورثها، وكان أعظم إنجازاته تعزيز الإدارة المالية للبلاد، وتقنين الإجراءات الحيازية والقضائية، وبالتالي السيطرة على الجريمة، وضمان حيازة الأراضي سلميًا، وإنشاء محاكم

التي عاناها اليهود ابان مدة الاضطرابات التي شهدتها إنكلترا خلال المدة (١١٣٥-١١٥٣)، تمكن هنري الثاني من إعادة الأمور إلى نصابها، ففي غضون ثلاثة اشهر من بداية حكمه عم السلام، وخرج اليهود آمنين من المدن والقلاع، للتجارة وللبحث عن دائنيهم، وانتشر اليهود في جميع أنحاء البلاد، واستقروا في العديد من المراكز الجديدة[١]، فقد سُجِّل اليهود كمقيمين دائميين في العديد من المدن الإنكليزية وكما موضح في الجدول ادناه:

جدول رقم (١) يوضح المناطق التي حصل فيها اليهود على اقامة دائمة في مدن انكلترا خلال مدة حكم الملك هنري الثاني[٢].

ت	المدينة	الاسم باللغة الانكليزية	ت	المدينة	الاسم باللغة الانكليزية	ت	المدينة	الاسم باللغة الانكليزية
١	لندن	London	١١	روتشيستر	Rochester	٢١	كانتربري	Canterbury
٢	هيرتفورد	Hertford	١٢	ثيتفورد	Chippingford	٢٢	تشيتشيستر	Chichester
٣	هيتشن	Hitchin	١٣	وينتشيستر	Winchester	٢٣	كولشيستر	Colchester
٤	إبسويتش	Ipswich	١٤	وورشيستر	Worcester	٢٤	كوفنتري	Coventry
٥	لينكولن	Lincoln	١٥	يورك	York	٢٥	دنستابل	Dunstable
٦	نيوبورت	Newport	١٦	بيدفورد	Bedford	٢٦	إدموندزبري	Edmonton

منتظمة وعادلة، توفي بالقرب من طولوز في السادس من تموز عام ١١٨٩ . لمزيد من التفاصيل ينظر:

The New Encyclopedia Britannica, Volume 8, Encyclopedia Britannica, Inc. William Benton, London,1978, p.p.764-765.

(3) Derek Fraser, Leeds and its Jewish community: A history, Manchester University Press, 2019, p.p.9-10.

(1) Albert Montefiore Hyamson, A history of the Jews in England, Jewish Historical Society of England, Macmillan, London, 1907, p.31.

(2) Hubert Hall, Court Life Under the Plantagenets (reign of Henry the Second), Swan Sonnenschein & Co, London, 1890, p.234.

٧	نورثهامبتون	Northampton	١٧	بيفرلي	Beverley	٢٧	إكستر	Exeter
٨	نورويتش	Norwich	١٨	بريستول	Bristol	٢٨	فينتشلي	Finchley
٩	اكسفورد	Oxford	١٩	بانجاي	Bantry	٢٩	فليد غلوستر	Gloucester
١٠	رايزنج		٢٠	كامبريدج				

يتبين من الجدول أعلاه ان سعة انتشار اليهود في المدن الإنكليزية يمثل بما لا يقبل الشك اكبر توسع يهودي في إنكلترا منذ قدومهم إليها لأول مرة منتصف القرن الحادي عشر، وان ذلك التوسع لن يتم ما لم يتبنى الملك هنري الثاني سياسة متساهلة اتجاههم.

سعى هنري الثاني خلال عام ١١٦٤، إلى تسوية اوضاع اليهود في البلاد واضعًا نصب عينيه إعادة ثقتهم بالسلطة الملكية من خلال إعادة تأكيد ميثاق الحماية[١]، الذي أصدره هنري الأول إذ منح الميثاق لليهود سلطة قضائية محدودة على شؤونهم الخاصة، بل أن هنري الثاني لم يكتف بما جاء في الميثاق الذي تم ذكره انفًا، بل وسع نطاقه بمنح اليهود في إنجلترا رسمياً امتياز القضاء الداخلي وفقاً للقانون التلمودي اليهودي، باستثناء حالات الجرائم ضد النظام العام[٢]، فأنشأ لهم محكمة خاصة عرفت باسم بيث دين(Beth Din)[٣]، أي دار العدالة، مكون من ثلاث قضاة يهود، واطلق على كبير قضاة اليهود تسمية رئيس الكهنة (Arch Presbyter) الذي يوازي منصب الحاخام في العصر الحديث[٤].

(1) Albert Montefiore Hyamson, Op. Cit., p.31.
(2) Cecil Roth, Op. Cit., p.10.
(٣) Beth Din (بيث دين) وتعني بالعربية دار العدالة وهي محكمة يهودية تعمل بهدي الدين اليهودي تجبي الضرائب وتتولى القضاء وتصدر القرارات الخاصة بالطعام وبجميع الأمور الدينية والمدنية. لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الوهاب المسيرى، المصدر السابق، ص٣٨١.
(٤) زينب عبد المجيد عبد القوى، المصدر السابق، ص٤٨.

لم يكتف هنري الثاني بمنح اليهود امتيازات قضائية بل عمد على حماية ممتلكات اليهود من خلال تضمين بند الحماية المالية في الميثاق، فإذا وضع أي شخص يده على أموالهم فإن الملك مطالب بردها، وذلك يعني أن كل اليهود كانوا خاضعين للحماية الملكية، لأن اليهود وكل ممتلكاتهم كانت ملكاً للملك، وكما عبر المؤرخ روجر من هاودن (Roger of Howden)[١]، بقوله **:" وليكن معلوما أيضا أن جميع اليهود أينما كانوا في المملكة كانوا تحت وصاية وحماية الملك الحاكم، ولا يمكن لأي منهم أن يخضع نفسه لأي شخص بارز بدون رخصة الملك... اليهود وكل ما لديهم ملك للملك، وإذا قام أي شخص بالاستيلاء على اموالهم فأن الملك مسؤول عن إعادتها إلى اصحابها اليهود"**[٢].

امتد ميثاق الحماية إلى نورماندي التي كانت خاضعة لممتلكات ملوك الامبراطورية الانجويه(Angevin Empire)[٣]، في الخارج أيضًا حيث كان اليهود

---

(١) روجر من هاودن : قسًا ومؤرخًا من يوركشاير، عاش في بلاط هنري الثاني وكان ملازمًا له، تولى العديد من المناصب الدبلوماسية، وعرف عنه بانه أكثر المؤرخين إنتاجاً في تلك المدة فاليه ينسب كتاب أعمال الملك هنري الثاني الذي يعد اهم النتاجات التاريخية في تلك المدة، فعلى الرغم من ان الكتاب قد نُسب في السابق إلى بينديكت لكن في عام ١٩٥٣، تم تحديده على أنه من تأليف روجر هاودن. لمزيد من التفاصيل ينظر:

John D. Hosler, Henry II: A Medieval Soldier at War, 1147-1189, Leiden , Boston, 2007, p.19.

(2) **Quoted in:** Anna Sapir Abulafia, Christian Jewish Relations 1000-1300: Jews in the Service of Medieval Christendom, Routledge, London and New York, 2014, p.90.

(٣) الامبراطورية الانجوية: استخدام المؤرخين المعاصرين مصطلح الانجويين للإشارة إلى المجموعة الشاسعة من الأراضي الفرنسية والإنكليزية التي حكمها أحفاد كونتات أنجو في غرب فرنسا في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر، ولم يُطلق عليها المعاصرون اسم إمبراطورية، ولا اسم إمبراطور على حاكمها، بل اطلقوا عليهم تسمية ملوك، في أوج ازدهارها

يمثلون الطبقة البرجوازية التجارية هناك، وسُمح لليهود بإجراء أعمال تجارية في الفرع اليهودي الذي تم إنشاؤه آنذاك في الخزانة، وعلى الرغم من أن اليهود لم يحكموا مجتمعاتهم الخاصة هناك، إلا أنهم كانوا خلال فترة حكم هنري الثاني معفيين من جميع الجمارك والرسوم، وفي ظل هذه الظروف كان العديد من اليهود قادرين على تجميع ثروة كبيرة، فعلى سبيل المثال، كان لدى الممول اليهودي آرون لينكولن(Aaron of Lincoln)[١]، اموالا نقدية أكثر من أي شخص آخر في إنكلترا[٢].

ان الامتيازات التي حضي بها اليهود في عهد هنري الثاني لاسيما وضعهم تحت الحماية الخاصة للتاج، وبالتالي ارتباطهم المباشر بالملك، وتمتعهم بحرية كاملة في التنقل؛ وقدرتهم على امتلاك العقارات بوصفهم مستأجرين تابعين للتاج، قابله حرمان جل الشعب الإنكليزي المسيحيين من تلك الامتيازات فقد كانوا مسؤولين

في أواخر القرن الثاني عشر، وكانت واحدة من القوى الكبيرة في أوروبا، وكان حكامها، وخاصة هنري الثاني من أبرز رجال عصره وبرز ملوكها. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Paul E. Szarmach and Other, Routledge Revivals: Medieval England (1998)An Encyclopedia,Taylor & Francis, New York, 2016, p.36.

(١) آرون لينكولن: ممولًا يهوديًا إنجليزيًا ولد في انكلترا حولي عام ١١٢٥، ذكر لأول مرة في المصادر الإنكليزية عام ١١٦٦، باعتباره دائنًا للملك هنري الثاني بمبلغ يصل إلى (٦١,٦١٢) جنيهًا استرلينيًا أي ما يعادل قيمة (١٠٠,٠٠٠) الف دولار، بقيمة الدولار بداية القرن العشرين، توفي عام ١١٨٦، فاستولى هنري الثاني على جميع املاكه. لمزيد من التفاصيل ينظر:

The Jewish Encyclopedia: A Descriptive Record of the History, Religion, Literature, and Customs of the Jewish People from the Earliest Times to the Present Day, Volume 1, Funk & Wagnalls , New York and London, 1901, p.16.

(2) Michael Frassetto, Christian Attitudes Toward the Jews in the Middle Ages: A Casebook, Routledge, New York and London, 2007, p.169.

امام رجال الاقطاع والكنيسة في حركاتهم وسكناتهم، ومحرومين من التعامل بالربا الذي بقي حكرًا على اليهود مما خلق بونًا واسعًا وفجوة اجتماعية ومالية كبيرة بين المسيحيين واليهود في انكلترا(١).

على الرغم من الفجوة الاجتماعية بين المسيحيين واليهود ابان حكم الملك هنري الثاني فأن العداء المسيحي اليهودي بقي كامنًا، فقد عومل اليهود بتسامح ملحوظ حتى من قبل رجال الكنيسة، فعلى الرغم من القوانين التي تحظر ذلك فقد أقرض الممولون اليهود الأموال للأديرة(٢)، والقساوسة بضمان الأطباق والأواني المستخدمة في العبادة الإلهية ذات القيمة العالية بالنسبة للمسيحيين، والأسوأ من ذلك كله سرى ضمان القروض حتى على رفات القديسين ضمانًا للأموال اليهودية من عائلة القسيس المتوفي، كذلك كان يُسمح لليهود بوضع نسائهم وأطفالهم في الأديرة، من أجل السلامة في أوقات الاضطرابات، وكانوا يحتفظون بأوراقهم التجارية في خزائن الكاتدرائية التي كانت تُستخدم آنذاك لحماية الأشياء الثمينة في حالات الطوارئ(٣).

---

(1) Albert Montefiore Hyamson, Op. Cit., p.33.

(٢) الدير: هو المبنى الذي يعيش فيه الرهبان أثناء ممارسة طقوسهم الدينية، بعض الأديرة يسكنها مئات الرهبان، وأحيانًا لا يعيش فيها سوى راهب واحد وحيدًا، للمسيحيين كنيسة، ولليهود كنيس، وللرهبان دير ، وهو ليس مكان عبادتهم المقدس فحسب، بل أيضًا مكان طعامهم ونومهم. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Ayelet Dayan, Christian Settlements and Monasteries in the Northern Judaean Shephelah and the Western Samaria Hills During the Byzantine Period, Archaeopress Publishing Limited, Oxford, 2025, p.93

(١) الكاتدرائية يرأسها السقف بدأت حركة بنائها في فرنسا ثم انتشرت في انحاء اوربا وتمثل بنائها بطراز القوطي ذات البناء الضخم وابراجها العالية . للمزيد ينظر :

علي مولا, الموسوعة العربية الميسرة , ط١ ,شركة أبناء الشريف الانصاري لطباعة والنشر , بيروت , ٢٠١٠ , ص ٢٦١٦ ؛ Cecil Roth, Op. Cit., p.11.

ان حالة الوئام والتسامح التي سادت خلال حكم الملك هنري الثاني تخللتها بعض الحوادث العرضية التي اعادت حالة العداء المسيحي اليهودي للواجهة، فبالإضافة إلى عداء متعصبي الكنيسة لليهود، ناصبت فئات أخرى من المجتمع المسيحي العداء لليهود، وفي مقدمتهم افراد الطبقة العليا للمجتمع الإنكليزي التي رأت في اليهود منافسًا لمكانتهم المادية والاجتماعية، فما كان منهم الا العودة للاتهامات السابقة المتمثلة بتهمة بالقتل الطقسي(Ritual Murder)، او الشعائري او ما يصطلح عليه التضحية البشرية (Human sacrifice) [١]، من خلال الشعائر الدينية اليهودية، كان الهدف من ذلك اثارة المجتمع ضدهم، ففي آذار عام ١١٦٨، اتهم اليهود بتعذيب طفل مسيحي يدعى هارولد(Harold)، في مدينة جلوستر(Gloucester)، والقاء جثته في نهر سيفرن خلال عيد الفصح تكريماً لختان طفل لعائلة يهودية بارزة في المجتمع الانكليزي، ووقعت حوادث مماثلة في بريستول، إلا أن أياً من تلك الحوادث لم تترتب عليها أية عواقب وخيمة على المجتمع اليهودي الذي كان آمناً تحت الحماية الملكية[٢].

يتبين مما سبق التسامح الذي قوبل به اليهود من قبل المسيحيين لم يكن تسامحًا مبنيًا على فرضية التعايش السلمي بين الأديان داخل المجتمع الإنكليزي، بل جاء نتيجة للسلطة الملكية القوية التي اخذت على عاتقها حماية ممن عدتهم احد اكبر دعائم النظام الملكي الانكليزي اقتصاديًا آنذاك.

---

(١) التضحية البشرية _ القتل الطقوسي: هو تقديم حياة إنسان لإله، وعادةً ما ترتبط التضحية البشرية بالاعتراف بالدم كقوة الحياة المقدسة لدى البشر، مع ذلك، استُخدمت أشكال القتل غير الدموية، مثل الخنق والغرق، في بعض الثقافات. لمزيد من التفاصيل ينظر=

=Britannica Encyclopedia of World Religions, Encyclopaedia Britannica, Incorporated, London, 2006, p.477.

(2) Cecil Roth, Op. Cit., p.13.

لم يتمكن الملك هنري الثاني من السيطرة على نزعة الكراهية بين المسيحيين واليهود في مملكته من منع أن تسببت الامتيازات التي منحها لليهود بدخوله في صراع مفتوح مع الكنيسة الكاثوليكية لاسيما الامتيازات القضائية التي اثارت حفيظة رجال الدين[١]، فقد بدأت الخلافات بين الجانبين بعد ان تقدم رئيس اساقفة كانتربري(Archbishop of Canterbury) توماس بيكيت(Thomas Becket)[٢]، بالتماس إلى الملك بمنحهم امتيازات قضائية مماثلة للامتيازات التي يتمتع بها اليهود، إلا أن الملك لم يستجب لالتماس رجال الدين، الا بعد اغتيال ببكيت عام ١١٧٠، ففي اجتماع عقد في مدينة أفرانشيس(Avranches)، في نورماندي عام ١١٧٢، منح رجال الدين امتياز مماثل لما منح لليهود والذي نص على عدم جواز إخضاع رجال الدين لأي سلطة تمارس عليهم من جانب السلطات

(1) Henry Paine Stokes, Studies in Anglo-Jewish History, Jewish historical society of England, 1913, p.p.48-49.

(٢) (١١١٨-١١٧٠) ولد في لندن لأبوين نورمانديين، تلقى تعليماً جيداً في دير ميرتون، ثم في باريس، أصبح مساعداً لثيوبالد رئيس أساقفة كانتربري، وعندما أدرك ثيوبالد موهبته أرسله إلى بلاط الملك هنري الثاني، وفي النهاية عُيِّن توماس رئيساً لأساقفة كانتربري، وفي عام ١١٦٢، نصبه الملك هنري الثاني مستشارًا له على أمل السيطرة على سلوك الكنيسة الكاثوليكية، لكن توماس لم يلبث ان= =استقال من منصبه بالمستشارية، وبالتالي بدأ صراعا بين الملك ورئيس الأساقفة أدت إلى نفيه، ثم التحريض على قتله، فأوعز لأربعة فرسان بذلك وقتلوا توماس عام ١١٧٠، عندما ذهب للانضمام إلى الرهبان لصلاة الغروب في كنيسة الدير. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Kathy Coffey and Other, Companion to the Calendar, Second Edition: A Guide to the Saints, Seasons, and Holidays of the Year, Liturgy Training Publications, Chicago, 2011, p.p.153-154.

العلمانية، وعدم محاكمتهم امام المحاكم العلمانية، ومن يجرؤ على ذلك يحرم من المزايا الكنسية(١).

على الرغم من المزايا الكبيرة التي منحها الملك هنري الثاني لليهود، مقابل استجابة اقل لرعاياه المسيحيين، أقدم هنري الثاني على سن قانون الأسلحة لعام ١١٨١ , يعد جزء من إصلاحياته القانونية التي هدفت تعزيز السلطة الملكة وتقوية القانون العام . (٢)، فقد نص القانون على تجهيز جميع رعايا الملك بالأسلحة، في خطوة منه لتجنيد اكبر عدد ممكن للدفاع عن البلاد واستقرار النظام فيها(٣)، فيما اكد احد بنود القانون على عدم جواز احتفاظ اليهود بأي أسلحة أو دروع عسكرية، فأما أن يبيعها أو يهبها، أو تنتزع منه بأي طريقة أخرى، ومن ذلك يرى بعض المؤرخين أن نزع سلاح اليهود كان بمثابة استعداداً للمذابح التي وقعت بعد ثماني سنوات من ذلك التاريخ ، وهو العام ١١٨٩، حيث انتهاء حكم الملك هنري الثاني، وهو العصر الذهبي لليهود في انكلترا(٤)، إلا أن البعض الاخر دحض ذلك الاستنتاج بالقول ان منعهم من احتفاظ اليهود بالأسلحة انما جاء بقصد جمعها حيث يمكن استخدامها على نحو اكثر فائدة(٥).

هنا يمكننا القول إن الرأي الأخير كان اكثر منطقية لان اليهود كانوا معفيين من الخدمة العسكرية وبالتالي لا طائل من احتفاظهم بالأسلحة، ناهيك من انهم كانوا تحت الحماية الملكية فيكون امتلاك الأسلحة غير مبرر، اما المذابح التي تعرضوا لها في اعقاب حكم هنري الثاني فهي نتيجة حتمية سواء امتلك اليهود للأسلحة ام لا، من خلال وفاة الحاكم الحامي لهم.

---

(١) زينب عبد المجيد عبد القوى، المصدر السابق، ص٤٩.

(2) Albert Montefiore Hyamson, Op. Cit., p.34.

(3) Clifford J. Rogers and Other, Journal of Medieval Military History, V III, Boydell & Brewer Limited, UK, 2010, p.19.

(4) Albert Montefiore Hyamson, Op. Cit., p.34.

(5) Cecil Roth, Op. Cit., p.13.

ثانيًا: المظاهر الدينية لليهود خلال عهد الملك هنري الثاني وموقف الكنيسة منها:

تمثل المعابد اليهودية نقطة محورية رئيسية لأي مجتمع يهودي(١)، ومركزًا للاختلافات الثقافية والاجتماعية والدينية بين اليهود والمسيحيين، ووفر المعبد محورًا طبيعيًا للحياة الثقافية والاجتماعية والدينية للمجتمع اليهودي، فقد كان ذلك المبنى متعدد الأغراض يستخدم كمكان للصلاة والدراسة والتجمع، غالبًا ما كان يوفر أماكن إقامة للمسافرين، وفي الساحات المجاورة للكنيس كانت تُسمع القضايا القانونية، وتُعقد الزيجات، وحتى ممارسة بعض الاعمال التجارية(٢)، كما أن الحكومة استخدمت الكنيس كمنصة لإعلان تعاليمها لرعاياها من اليهود(٣).

كانت المعابد اليهودية في انكلترا خلال العصور الوسطى بسيطة للغاية بشكل عام، فكل ما كان مطلوبًا لإقامة الخدمة الدينية هو تابوت التوراة او تابوت العهد(٤)، وحاجز، والذي قد يتم تمثيله بواسطة ستارة لإبقاء الرجال والنساء منفصلين، ويعكس الكنيس اليهودي الذي بقيت اثاره في لينكولن بساطة الاحتياجات الأساسية للطقوس الدينية اليهودية، وفي بعض الحالات كانت المعابد اليهودية عبارة عن مؤسسات

(1) Abraham Malamat, A History of the Jewish People, Harvard University Press, 1979, p.173.

(2) Robin R. Mundill, The King's Jews: Money, Massacre and Exodusin Medieval England, Continuum , London, 2010, p.50.

(3) Robin R. Mundill, England's Jewish Solution: Experiment and Expulsion, 1262-1290, Cambridge University Press, 1998, p. 30.

(٤) تابوت التوراه: وهو صندوق لوحي محكم ليحفظ التوراة أو بمعنى أدق الألواح بداخله فصنع اليهود هذا الصندوق وثبتوا في أعلاه أربع حلقات كل حلقه علي أحد جوانبه الأربعة لتسهيل حمله، و يدعي اليهود أن موسي قد تلقي من (الإله) أوصافا محدده لصناعة التابوت، وهذا مكتوب في سفر الخروج ٣:٢٤ من التوراه. لمزيد من التفاصيل ينظر: ساهر رافع، جذور العنف عند اليهود من التوراة والتلمود، كتب عربية، الاردن. ٢٠٠٦، ص٢٤

صغيرة يديرها رعاة أثرياء في منازلهم الخاصة[١]، وكما هو الحال في جميع انحاء اوروبا يتوجب ان يؤخذ بعين الاعتبار حال اليهود في إنكلترا خلال الفترات الزمنية المختلفة فالحرية الدينية وحرية التعبد تعتمد بشكل أساس على مدى الحريات التي تعطى لهم، ففي الوقت الذي تكون فيه معاداة اليهود أكثر تفشيًا وعنفًا كانت أماكن العبادة اليهودية في انكلترا تقع في أماكن أكثر امنًا، مثل الجزء الخلفي من المباني السكنية، أو على طول الأزقة الخلفية في المناطق الحضرية، اما في أوقات السلم كان الكنيس اليهودي في معظم المدن كان مبنىً يمكن التعرف عليه من قبل اليهود والمسيحيين على حد سواء[٢].

تمتع اليهود في عهد الملك هنري الثاني بالعديد من الحريات ومنها الحريات الدينية المتمثلة بحرية ممارسة طقوسهم، فضلاً عن العديد من الامتيازات التي قدمها لهم[٣]، ومنها ما كان مرتبط بالقضايا الدينية من خلال السماح لهم بدفن موتاهم في جميع ارجاء المملكة بموجب مرسوم خاص في عام ١١٧٧ ، بعد ان كان لزاماً على اليهود ان يدفنوا موتاهم في لندن دون غيرها، فعندما تحدث وفاة كان يتم نقل الجثة إلى هناك بواسطة العربات من أماكن بعيدة مثل إكستر(Exeter)، أو يورك(York)، فيترتب على ذلك نفقات مالية ومتاعب جسدية كبيرة، فضلاً عن فرض الرسوم التي يتعين دفعها عن كل يهودي لدفن ميت، ناهيك عند نقلها إلى لندن والتي تمثل تجاوزًا كبيرًا على حرمة الأموات اليهود، ومشاق للأحياء كذلك[٤].

(1) Robin R. Mundill, Op. Cit., p. 30.
(2) Barry L Stiefel, Jews and the Renaissance of Synagogue Architecture, 1450–1730, Pickering & Chatto, London, 2014, p.19; Robin R. Mundill, England's Jewish Solution, Op .Cit., p.30.
(3) John Cassell, Illustrated history of England, Volume 1, Cassell, ltd, London, 1865, p.212.
(4) Cecil Roth, Op. Cit., p.13.

ان الحريات الدينية التي تمتع بها اليهود من قبل الملك قابلها عداء صريح من قبل المنظومة الكنسية المسيحية فللتعصب الديني اتجاه الديانات الأخرى تاريخ طويل داخل الكنيسة الغربية(١)، ولم يكن من المرجح أن تخفف الكنيسة من أي اتهامات أو مشاعر سيئة كانت تحوم حول الجاليات اليهودية، وبالرغم أنها لم تصنفهم قط على أنهم زنادقة، بل وصفوهم بانهم خونة وغير مرغوب فيهم، ولذلك كانت الكنيسة في إنكلترا بطيئة في الرد وإنكار الاتهامات العديدة بارتكاب جرائم القتل الطقسية التي وصم بها اليهود، فبالنسبة للمسيحية الكاثوليكية كان اليهود يشكلون إحراجًا وتهديدًا لعقيدتها الدينية (٢).

إلا أنه ليس هناك من شك في ان التعصب الديني اتجاه اليهود لم يكن مبنيً على أسس عقائدية فقط بل ان الأسباب المالية، فضلاً عن الحسد على المكانة الاجتماعية التي كان يتمتع بها اليهود في ضل حكم الملك هنري الثاني كانت سببًا مباشرًا لذلك التعصب والعداء ان صح القول، فاتخذت الكنيسة من الاطار العقائدي منطلقًا لاضطهاد اليهود من خلال نشر فكرة قتل للأطفال المسيحيين واستخدام دماؤهم لأغراض طقسية واستخدام تلك التهمة في تأجيج المجتمع الإنكليزي ضدهم(٣).

على الرغم من العداء المسيحي الكامن لليهود لم يشهد عهد الملك هنري الثاني حوادث كراهية كبرى بين المسيحيين واليهود باستثناء بعض الحوادث العرضية كما مر بنا سابقًا، بل ان اليهود حاولوا التقرب من الكنسية بمواقف اجتماعية عديدة،

(1) Hugh M. Thomas, The Secular Clergy in England, 1066-1216, OUP, Oxford, 2014, p.341.
(2) Robin R. Mundill, England's Jewish Solution, Op. Cit., p.20.
(3) Derek Cohen and Deborah Heller, Jewish Presences in English Literature, McGill-Queen's University Press, London, 1990, p.15.

لعل ابرزها مناصرتهم لرهبان كانتربري البينديكتين عام ١١٨٨، بعد دخولهم في معركة مع رئيس الأساقفة كانتربري بالدوين فورد(Baldwin of Forde)[١]، الذي سعى لتأسيس كنيسة جماعية في هاكينغتون، فبالغرم من محاصرة الرهبان داخل مبانيهم الرهبانية لمدة عام ونصف داب اليهود على تزويدهم بالطعام والماء والاحتياجات الأساسية طوال تلك المدة[٢].

يتبين مما ذكر أعلاه ان التعايش المجتمعي بين الطائفتين المسيحية واليهودية في انكلترا كان يتوقف على قوة السلطة الحاكمة فخلال حكم الملك هنري الثاني الذي منح اليهود امتيازات كبيرة مقابل البدائل المالية التي كانوا يوفرونها له، كان التعايش المجتمعي مبنيًا على أسس غير حقيقية نتيجة لقوة السلطة الملكية الحاكمة التي أبقت العداء بين الطائفتين كامنًا ولم يبرز للسطح بصورة جلية، كما أن ارتباط

---

(١) : أسقف ووستر وراهب سيسترسي، انتخب بالدوين من فورد رئيسًا لأساقفة كانتربري تم تنصيبه في السادس عشر من كانون الأول عام ١١٨٤، ثم اصبح بحلول نهاية ذلك عام ١١٨٦، مبعوثًا بابويًا إضافة إلى منصبه السابق، في المدة القصيرة من رئاسته للأساقفة والتي امتدت إلى وفاة هنري الثاني، وتولي ريتشارد قلب الأسد دخل في نزاع مستمر تقريبًا مع الرهبان في دير كاتدرائية كانتربري لنيته إنشاء هيئة إقليمية جديدة تنتخب رئيس الأساقفة الجديد، فبذل الرهبان كل ما لديهم من نفوذ لدى البابا لمعارضة الخطة، وبدوره حاصر بلدوين دير الكاتدرائية ودارت معركة ضارية انتهت في تشرين الثاني عام ١١٨٩ ، بالتخلي عن موقع هاكينجتون والغاء المخطط بأكمله. لمزيد من التفاصيل ينظر:

John Gillingham, Anglo-Norman Studies XXIV: Proceedings of the Battle Conference 2001, Boydell Press, UK, 2002, p.205; Sidney James Low, The dictionary of English history, Cassell & Company, London, 1897, p.119.

(2) John Gillingham, Richard I, Yale University Press, New Haven and London, 1999, p.110

القساوسة والرهبان ماليًا باليهود من خلال الاستعانة بأموالهم لبناء الكنائس والكاتدرائيات اخفت ولو لمدة زمنية ليست بالقصيرة الخلافات العقائدية بين الجانبين، وبالمجمل تمتعت الجماعة اليهودية ابان حكم الملك هنري الثاني بمدة رخاء غير مسبوقة منذ قدومها إلى إنكلترا، ولو كان ذلك الرخاء على حساب اموالهم التي استنفدت بالضرائب، والهبات، وشتى أنواع الابتزاز المالي لصالح الملك هنري الثاني.

المبحث الثاني

أوضاع اليهود الاقتصادية خلال عهد الملك هنري الثاني حتى عام ١١٨٩

اولاً: موقف الملك هنري الثاني من التحريم الكنسي للربا، واثره على الأوضاع الاقتصادية لليهود:

لم تكتف الكنيسة الكاثوليكية خلال تلك المرحلة على تحريم التعاملات الربوية في مجامعها الكنسية السابقة التي اشرنا اليها انفًا، بل انها ادانت في مجمع تورز الذي عقد في ذات المدينة (وسط غرب فرنسا) في عام ١١٦٣، جميع أنواع الربا اعقبه رسالة موجهة من البابا ألكسندر الثالث(Pope Alexander III)(١١٥٩ – ١١٨١) [١]، إلى رئيس أساقفة كانتربري يحثه فيها على إجبار أولئك الذين تلقوا بالفعل رأس المال الذي أقرضوه، بإرجاع ما زاد على ذلك إلى الذين انتزعوا منهم ذلك الربا، او لورثتهم، واخبره في ذات الرسالة امتداد قواعد تحريم الربا للعلمانيين[٢]

امام عدم استجابة العديد من المرابين المسيح لأوامر الكنيسة دعا البابا الكسندر الثالث إلى عقد مجمع كنسي للاتيران الثالث عام ١١٧٩، وقد اصدر ذلك المجمع سبعة وعشرين قانونًا حول العديد من الموضوعات خصص القانون الخامس والعشرين منها لموضوع الربا والتعاملات الربوية[٣]، والذي نص على ما يلي:**" لقد ترسخت جريمة الربا في كل مكان تقريبًا لدرجة أن كثيرين يتجاهلون أي عمل آخر، يمارسون الربا كما لو كان مسموحًا به، ولا يلاحظون بأي حال من الأحوال**

---

(١) اسمه المعمودي رولان باندينيلي، ولد أوائل القرن الثاني عشر في سيينا بإيطاليا، عمل أستاذًا للاهوت والقانون الكنسي في بولونيا في الفترة من عام ١١٣٩ إلى عام ١١٤٢، تولى البابوية للمدة ١١٥٩–١١٨١. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Frank N. Magill, The Middle Ages: Dictionary of World Biography, Volume 2, Taylor & Francis, London and New York, 1998, p.48.

(2) Patrick Cleary, Op. Cit., p.65.

(3) David W. Jones, Op. Cit., p.33.

كيف أنه محرم في العهدين القديم والجديد، لذلك نعلن أنه لا ينبغي السماح للمرابين المشهورين بالدخول إلى المذبح أو تلقي الدفن المسيحي إذا ماتوا وهم على تلك الخطيئة"(١)، ولم يقتصر الامر على ذلك فقط بل ان القانون فرض عقوبات على رجال الدين الذين يخالفون التعليمات، ودفن المرابي طمعًا في تلقي الأموال من اهله، ومن ذلك نص القانون **:" من يستلمها (أي الجثة) أو يدفنها على الطريقة المسيحية يجب أن يُجبر على إعادة ما تلقاه، ويجب أن يظل موقوفًا عن أداء منصبه حتى يرضى عليه أسقفه"**(٢).

على الرغم من المجموعة الكبيرة من القوانين الكنسية التي تدينه بقي الربا غير قانوني بموجب القانون الكنسي فقط، أي انه لا ينطبق على العلمانيين، ومنهم الحكام الذين كانوا يتعاملون به بحذر شديد تجاه عقيدة الكنسية وبالتالي القرارات التي تصدر عنها(٣)، ولعل ذلك يفسر كثرة الرسائل التي أرسلها البابا الكسندر الثالث إلى رئيس أساقفة كانتربري في انكلترا وضحَ فيها:" **أنه ليس للمقرض الحق في أكثر مما أقرضه**"(٤)، وكانت تلك اخر الرسائل التي أرسلها البابا إلى رئيس أساقفة كانتربري في عهد الملك هنري الثاني عام ١١٨٠(٥).

يتبين من تكرار المجاميع الكنسية المتوالية لتحرم الربا في بنودها كان ناتجًا عن عدم التزام المجتمع المسيحي بذلك التحريم سواء من جانب رجال الدين او غيرهم لاسيما الملوك المذكورين تحت تسمية (العلمانيين) ومنهم الملوك الإنكليز ودلالة

(1) **Quoted in:** Greg Forster and Anthony R. Cross, Human Flourishing Economic Wisdom for a Fruitful Christian Vision of the Good Life, Pickwick Publications, U.S.A, 2020, p.161.
(2) **Quoted in:** David W. Jones, Op. Cit., p.33.
(3) Charles R. Geisst, Beggar Thy Neighbor: A History of Usury and Debt, University of Pennsylvania Press, 2013, p.35.
(4) **Quoted in:** Patrick Cleary, Op. Cit., p.65.
(5) Ibid., p.65.

ذلك كثرة الرسائل التي كان يرسلها البابا الكسندر الثالث رئيس أساقفة كانتربري بشأن التحريم الكنسي للربا.

انعكس موقف الكنيسة الكاثوليكية المتشدد في تحريم الربا على أحتكار اليهود لذلك العمل لاسيما في انكلترا، فترتب على ذلك العمل مع مرور الزمن تراكم رأس المال لدى اليهود في انكلترا الذين وصفوا بالمنبوذين آنذاك، وكان ذلك مثالاً على ما اطلق عليه ماكس ويبر(Max Weber) (رأسمالية المنبوذين)[١]، بسبب رفض الكنيسة والمجتمع المسيحي للربا، واباحة اليهود لأنفسهم ممارسته، فأصبحت ثروتهم في تزايد مستمر، فعزز ذلك النشاط التجاري من مكانة واهمية اليهود بالنسبة للملك، والسلطة الحاكمة في انكلترا، ولكنه في ذات الوقت جعلهم غير محبوبين وعرضة للخطر، لقد خلقت الكنيسة عن غير قصد مصدراً للإيرادات الاحتكارية لليهود من خلال تقييد الإقراض المشروع لليهود، وحاول العديد من الملوك الاستيلاء على تلك الإيرادات من خلال ترخيص الإقراض اليهودي وفرض الضرائب عليه، ونتيجة لهذا فإن الثروة التي تراكمت لدى أقوى وأنجح المرابين اليهود كانت في تزايد مع مرور الزمن[٢].

يعد الملك هنري الثاني اكثر الملوك الإنكليز اقتراضًا للمال، ففي المرحلة الأولى من حكمه، كان الدائن الرئيسي لهنري هو التاجر الفلمنكي ويليام

(1) Mark Koyama, The political economy of expulsion: the regulation of Jewish moneylending in medieval England, Journal: Constitutional Political Economy, volume 21, issue 4 ,2010, p.381; Max Weber, General Economic History, The Free Press, Glenoe, Illinois, 1950, p.360.
(2) Mark Koyama, , Op. Cit., p.381.

كيد(William Cade)[١]، ولكن بعد وفاته في عام ١١٦٦، بدأ الملك في البحث عن مصادر تمويل جديدة، ويبدو أن الملك وجد في المجتمعات اليهودية التي كانت متمركزة في المدن الرئيسة ضالته، فبحلول النصف الثاني من القرن الثاني عشر كانت المهنة الرئيسية في المجتمعات اليهودية تتمثل بإقراض المال بعد ان تم استبعادهم من أغلب الأنشطة الاقتصادية الأخرى، وحصر نشاطهم في القروض الربوية بشكل كبير، ولعل سبب اقدام الملك هنري الثاني على الاقتراض من اليهود كان عائدًا بشكل أساس إلى احجام الممولين المسيح عن إقراضه المال، لان ذلك سيكون مدعاة لارتكابهم خطيئة الربا، وغضب الكنيسة إذا حققوا ربحًا من ذلك النشاط، نظرًا للتحريم الكنسي له، فكان على هنري الثاني والحالة تلك كحال الأفراد الآخرين الذين يحتاجون إلى السيولة النقدية ان يقترضوا المال من المقرضين اليهود[٢].

ان اقدام الملك هنري الثاني وبعض المواطنين الإنكليز على الاقتراض من اليهود على الرغم من التحريم الكنسي للربا الذي كان بشكله القانوني يسري على الطرفين الدائن والمدين يعود بشكل أساس إلى قوة الحكومة المركزية، والهيمنة الناتجة للدولة على الكنيسة في انكلترا التي جعلت من الممكن أن يصبح الربا (أي إقراض المال بفائدة) ممارسة شائعة في إنكلترا، وكانت تلك القوة الملكية نفسها هي التي جعلت واقع اليهود آنذاك على الرغم من بؤسه، أكثر قوة في انكلترا عن بقية

---

(١) ويليام كيد: تاجر فلمنكي من سانت أومير في فلاندرز الساحلية، لا يعرف تاريخ ميلاده، عد الممول الأبرز في بلاط الملك هنري الثاني حتى وفاته حوالي عام ١١٦٦. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Eljas Oksanen, Flanders and the Anglo-Norman World, 1066–1216, Cambridge University Press, New York, 2012, p.91.

(2) Richard Huscroft, Ruling England 1042-1217, Routledge, London and New York, 2016, p.p.164-165.

بلدان أوروبا وكذلك أسهمت الكنيسة عندما حرمت الربا ووضعت قوانين صارمة هي التي أفادت اليهود لجمع المال من خلال الربا [١].

اتخذ الملك من حكم الكنيسة بعدم قانونية الربا بالنسبة للمسيحيين وسيلة لمساهمة يهودية اكثر فاعلية في الاقتصاد الملكي، فقد كان فرض الضرائب على الإقراض اليهودي مصدرًا مهمًا للدخل، وكان ايضًا شكلاً من اشكال الضرائب غير المباشرة على النبلاء الذين كانوا غالبًا ما يحتاجون إلى القروض، وكان يصعب على الملك زيادة الضرائب عليهم لكن من السهل عليه فرض الضرائب على اليهود الذين استفادوا من اقراض المال للنبلاء، وبالتالي استخدام التاج الانكليزي لليهود إلى حد كبير وسيلة لنقل الثروة من النبلاء إلى التاج وتحول غالبية العداء تجاه اليهود وليس للملك[٢].

سعى الملك هنري الثاني لاستمرار تدفق الاموال من الضرائب على ارباح القروض في مواجهة الحظر الكنسي بطريقة لا تضر أو تدمر مصدرها، وأن يستمر تدفق الاموال من اليهود وتأييد فرض الاحتكار اليهودي على الإقراض أي فرض التحريم الكنسي بالقوة على غير اليهود، في ذات الوقت الزام الملك نفسه بحماية المرابين اليهود والمجتمع اليهودي بشكل عام من ابتزاز المسيحيين المناهضين لهم، وحماية ممتلكاتهم، وبذلك أصبحت عملية تدفق الاموال اليهودية من خلال الضرائب

(1) Charles Gross, The Exchequer of the Jews of England in the Middle Ages A Lecture Delivered at the Anglo-Jewish Historical Exhibition, Royal Albert Hall, 9th June, 1887, Office of the Jewish Chronicle, London, 1887, p.p.4-5.

(2) Jonathan Fox and Lev Topor, Why Do People Discriminate Against Jews?, Oxford University Press, 2021, p.143.

والرسوم وغيرها للملك مقابل الحماية لهم ولأملاكهم من أطماع الخصوم واعداء اليهود بشكل عام(١).

نجح الملك هنري الثاني في الإيفاء بالتزاماته إزاء المجتمع اليهودي في إنكلترا بالمقابل فقد اكتسب اليهود في عهده قوة اقتصادية كبيرة، وكانوا أقل تعرضًا للمضايقات من نظرائهم في بقية بلدان اوروبا، في الواقع كانت هناك أدلة على ايفاء هنري بتعهداته لليهود فقد كان ذلك الامر ملحوظًا حتى على المستوى البابوي، ففي عام ١١٧٩، كتب البابا ألكسندر الثالث إلى الملك هنري الثاني طالباً منه أن يتعامل بلطف مع روجر رئيس دير القديس أوغسطين كانتربري(Roger the abbot St. Augustine's Canterbury)، وأن لا يجبره من بين أمور أخرى على سداد الديون التي كان مديناً بها لليهود(٢).

في خطاب بابوي اخر موجه إلى رئيس أساقفة كانتربري، ريتشارد دوفر(Archbishop of Canterbury Richard of Dover) بوقف ممارسة مقاضاة رجال الدين في المحاكم العلمانية امام اليهود الذين كانوا مدينين لهم بالمال، وذلك يوضح مفارقة رجال الدين المدينين لليهود؛ فقد دعم القانون الكنسي فكرة أن المسيحيين لا ينبغي لهم بأي حال من الأحوال أن يخضعوا لحكم اليهود أو أن يُنظر إليهم على أنهم مدينون لهم بأي شكل من الأشكال، وهذا مثال للهوة التي كانت تتسع بين المواقف البابوية التقليدية تجاه اليهود، والنظرة الأكثر عملية التي تبناها الملوك الإنكليز اتجاههم، ولعل البابا كان يشعر بعدم الارتياح إزاء تزايد مديونية الكنائس الكاثوليكية الإنكليزية لليهود، لان رجال الدين كانوا يقترضون مبالغ

(1) Mark Koyama, , Op. Cit., p.381.
(2) Lauren Fogle, The King's Converts: Jewish Conversion in Medieval London, Lexington Books, New York and London, 2019, p.7-8.

طائلة من اليهود سابقًا، ولكن هنري الثاني لم يشارك البابا في انزعاجه لأن الجالية اليهودية في انكلترا أصبحت أحد أفضل مصادر دخل الملك هنري الثاني المالية، وكان تبرئة روجر رئيس الدير من ديونه لليهود بمثابة أخذ المال، ولو بشكل غير مباشر من جيب الملك نفسه، وفي كل الاحوال فمن غير المرجح أن يكون هنري حريصاً على إعفاء رجال الدين من ديونهم الضخمة، لأنه كان ميالاً لتعزيز المكانة المالية لليهود لأنها تعود عليه بالنفع المادي بشكل كبير[١].

ان عدم انصياع الملك هنري الثاني للأوامر الكنسية له ما يبرره لاسيما اذا ما اخذنا بعين الاعتبار الموارد المالية الهائلة التي كانت تتدفق إلى الخزنة الملكية جراء اعمال المرابين اليهود ولعل في حادث وفاة المرابي آرون لينكولن عام ١١٨٦، دليلاً ملموسًا لمدى الفائدة التي كان يجنيها الملوك الإنكليز من المرابين اليهود فعند وفاته بغلت ديونه المستحقة خمسة عشر الف جنيه إسترليني موزعة على (٤٣٠)، مدينا وهو ما يعادل الإيرادات السنوية للتاج الانكليزي خلال ذلك العام[٢]، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن آرون لينكولن كان يدفع ضرائب عن أمواله للخزانة الملكية خلال حياته لما يصل إلى (١١٥) جنيهاً استرلينيًا سنويًا[٣]، وبعد وفاته استولى هنري الثاني على ممتلكاته، وبذلك تعد عملية استيلاء هنري الثاني على ممتلكات آرون لينكولن احدى السمات التي ميزت تلك المدة فقد كان ملوك انكلترا يدعون ان اليهود ليس لهم الحق في الثروة المكتسبة عن طريق اقراض المال، وان السماح لهم

(1) Lauren Fogle, Op. Cit., p.7-8.
(2) Rowan Dorin, No Return: Jews, Christian Usurers, and the Spread of Mass Expulsion in Medieval Europe, Princeton University Press, 2023, p.63.
(3) Toby Purser, Heinemann Advanced History: Medieval England 1042-1228, Pearson Education, Oxford, 2004, p.194.

بالاحتفاظ بها في حياتهم رحمة كافية، فجعلوا يصادرون املاك اثرياء اليهود بعد وفاتهم(١).

ان تلك الأموال دفعت الملوك الإنكليز بطبيعة الحال إلى التعامل باهتمام شديد بما اسماه هربرت ثورستون في كتابه حياة القديس هيو لينكولن **"الاوز التي كانت تبيض ذهبًا"**، فوفقاً للقانون الصارم فإن ما يكتسبه اليهودي لا يكتسبه لنفسه، بل لملكه، وإزاء ذلك لم يكن من المعتاد أن يتعرض اليهودي للمضايقات خلال تمتعه بمكاسبه في عهد الملك هنري الثاني، وعليه فقد كان شعور الملك هنري الثاني بأن اموال هؤلاء الرعايا الأثرياء للغاية كانت في متناول يده كما لو كانت مودعة بالفعل في الخزانة الملكية(٢)، فلا غرابة ان يصف المؤرخ الإنكليزي وليام نيوبورج اليهود بانهم كانوا مفضلين لدى الملك ومن ذلك قوله **:"لقد أظهر هنري الثاني تفضيلاً مفرطاً لشعب اعتبره خائناً ومعادياً للمسيحيين. أي المرابين اليهود، بسبب الفوائد الكبيرة التي كان يجنيها من ممارساتهم للإقراض"**(٣).

لم تقتصر إيرادات الخزنة الملكية على تركة الأثرياء اليهود، بل ساهم اليهود في اثراء الخزينة الملكية عن طريق الضرائب او لتسوية الخلافات التي قد تنشأ مع المدانين(٤).

(1) Noble Foster Hoggson, Banking Through the Ages: From the Romans to the Medicis, from the Dutch to the Rothschilds, Cosimo Incorporated, New York, 2007, p.52.
(2) Herbert Thurston, The Life of Saint Hugh of Lincoln, Burns and Oates limited, London, 1898, p.271.
(3) **Quoted in :** Joseph Jacobs, The Jews of Angevin England: documents and records , New York and London, 1893, p.94.
(4) Joseph Jacobs, Op. Cit., p.p.95-97.

الجدول رقم (٢) ادناه يوضح جزء بسيط مما كان يرد للخزينة من المرابين اليهود بالمارك[١] للأعوام ١١٨٨-١١٨٩[٢].

ت	المساهم	مقدار المساهمة سنويًا
١	بنيامين وجوسكا ودولكريس	٢ مارك(mark) ، من الذهب
٢	يهود إكستر	١ مارك من ذهب
٣	موسى ابن بنديكت	١٥ شلنًا
٤	جيريمياس يهودي من دانستابل	١٢ جنيهًا إسترلينيًا
٥	جوس ابن موريل	٤٦ مارك من الذهب
٦	بنديكت ابن جوس سوريل	٢ مارك ذهب
٧	ديليكريس يهودي من فينشيليسفيلد	٢٠ مارك من الذهب
٨	– ديوليكس أوف رايزنج ابن بنديكت	٢ مارك من الذهب
٩	ريتشارد كوفشيت	٤٥ شلنًا و٧٤ بنسًا
١٠	ليو يهودي من لندن	٤ مارك من الذهب
١١	ديوليبيني يهودي من تشيتشيستر	٥ مارك من الذهب
١٢	ساماريا اليهودي	١١ مارك من الذهب

(١) المارك : كان للمارك دور تاريخي مزدوج فهو وحدة حساب كان يستخدم في العصور الوسطى كوحدة وزن للذهب والفضة، فعلى سبيل المثال استُخدم مصطلح (المارك) للدلالة على وزن يقارب(٨) أونصات (حوالي ٢٤٨ غرامًا) من الذهب، واستخدم كذلك عملة في العديد من الممالك الاوربية، ففي انكلترا مارك: وحدة حسابية تساوي ثلثي الجنيه الإسترليني استُخدمت بكثرة خلال العصور الوسطى فكل (١٠٠) مارك يساوي (٦٦١٣٥) جنيهًا إسترلينيًا، و (٤) بنسات، و(٣٠٠) مارك يساوي (٢٠٠) جنيه إسترليني، و(٥٠٠) مارك يساوي(٣٣٣,٦٥) جنيهًا إسترلينيًا، و(٨) بنسات وهكذا. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Peter Spufford,Money and Its Use in Medieval Europe, Cambridge University Press, New York, 1988, p.223; Barbara J. Harris, English Aristocratic Women, 1450-1550: Marriage and Family, Property and Careers, Oxford University Press, 2002, p.247.

(2) Ibid., p.p.95-97.

على الرغم من الاستغلال الملكي للتحريم الكنسي في اثراء الخزية الملكية من الضرائب التي كانت تفرض على اليهود، إلا أن التحريم الكنسي للربا فتح الباب على مصراعيه لإثراء المرابين اليهود الذين باتوا اكبر المتحكمين في عملية الإقراض في إنكلترا خلال حكم الملك هنري الثاني، فقد استولى المقرضون اليهود على سوق الإقراض من محورين يمتد الأول نحو الشمال الشرقي من لندن إلى كامبريدج (Cambridge)، وبوري (Bury)، وثيتفورد (Thetford)، وبونغهام (Buckingham)، ونورويتش (Norwich)، والثاني يمتد نحو الشمال لغربي من لندن إلى أكسفورد(Oxford) إلى نورثامبتون (Northampton) إلى لينكولن(Lincoln)، ويورك، وكانت النقاط المحورية الثلاث تلك الشبكة هي نورويتش، ولينكولن، ولندن، وهناك تحققت أعظم الثروات اليهودية في القرن الثاني عشر[١].

اسهم التحريم الكنسي للمسيحيين كذلك في التعامل بالربا في شمول جميع فئات المجتمع الإنكليزي بالاقتراض من اليهود فالوثائق وسجلات المحاكم أظهرت أن اليهود في إنكلترا كانوا يقدمون قروض الرهن العقاري لملاك الأراضي وكان رجال الدين في الأديرة والكنائس من بين زبائن المقرضين اليهود، كما ساهم اليهود الإنكليز في تمويل العديد من مشاريع الملكية للحكومة، بما في ذلك الحروب فضلاً

(1) Michael Alan Signer and John H. Van Engen, Jews and Christians in twelfth-century Europe, University of Notre Dame Press, Notre Dame, 2001, p.347.

عن بناء الكاتدرائيات والأديرة، كما كانوا يقدمون قروضاً أصغر على للأسر الفقيرة ومتوسطة الدخل على حد سواء(١).

انعكست سعة الإقراض خلال عهد الملك هنري الثاني على الحياة الاقتصادية لليهود الذين امست تعاملاتهم المالية اكثر سهولة، فقد احتلت الاحياء اليهودية أفضل الأماكن في مدن انكلترا الصغيرة والكبيرة على حد سواء، كما ان بيوتهم المبنية بالكلية من الحجر امست موضع حسد النبلاء المسيحيين الذين كانوا يسعدون كثيرًا عند شراء تلك المنازل من اليهود كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا(٢).

قابل الرخاء الاقتصادي لليهود نتيجة للعمل بالمراباة، شيوع خسارة النبلاء المسيحيين لممتلكاتهم بسبب القروض بغية سداد الفوائد المستحقة على القروض التي كان يقترضها النبلاء من اليهود، فالديون والمصاعب المالية دفعت بعض النبلاء في إنكلترا إلى تأجير أراضيهم بأسعار منخفضة، او تحمل خسارتها لصالح المقرضين، ولم يقتصر الامر على استئجار اراضيهم بل ان فوائد القروض دفعت بعض النبلاء إلى بيع بعض أراضيهم، أو كلها، وقد وردت بعض الحوادث التي اضطر النبلاء لبيع ممتلكاتهم لتسديد فوائد قروضهم ومنهم بيع روجر بريت(Roger Bret) وهو سليل عائلة مسيحية نبيلة مهمة ستة وثلاثين فدانًا من الأراضي المبيعة إلى فاونتنز(Fountains) مقابل عشرين ماركًا وعشرين شلنًا ومحراثًا واحدًا من الثيران وحصانًا واحدًا، حتى يتمكن من الاحتفاظ لنفسه ولورثته ببقية املاكه وعدم خسارة المزيد، وفي حالة أخرى باع آدم دي كريدلينج Adam)

(1) Maristella Botticini and Zvi Eckstein, The Chosen Few: How Education Shaped Jewish History, 70-1492, Princeton University Press, 2012, p.213.

(٢) زينب عبد المجيد عبد القوى، المصدر السابق، ص٥٠.

(de Cridling وهو وريث عائلة مسيحية من النبلاء قصرًا واحدًا لعمه مالجر فافاسور(Malger Vavasour)، وأرضًا أخرى لجوردان وجون دي ريثر(Jordan and John de Ryther)، وبقية أرضه جون دي لاسي(John de Lacy) ومع ذلك يظل السؤال قائمًا ما إذا كانت الأمثلة الباقية حوادث معزولة أو تمثل أزمة واسعة النطاق للنبلاء خلفتها عملية المراباة التي يقودها اليهود[١].

(1) Hugh M. Thomas, Vassals, Heiresses, Crusaders, and Thugs: The Gentry of Angevin Yorkshire, 1154-1216, University of Pennsylvania Press, 1993, p.158.

ثانيًا: المهن اليهودية واثرها في اثراء يهود إنكلترا ١١٥٤ـ١١٨٩

قبل الخوض المهن التي مارسها اليهود في إنكلترا لابد من الإشارة إلى ان النشاط الاقتصادي الأكثر توثيقًا في التاريخ الانكليزي والذي يعود أقدم السجلات فيها إلى عهد الملك وليام الفاتح يتمثل بإقراض المال أي العمل بالقروض الربوية الذي اشرنا اليه انفًا[١]، لذلك لم يكن هنالك سوى إشارات عن الوظائف الاخرى التي مارسها اليهود مثل التجارة بالجملة والتجزئة داخليًا، أو الاستيراد والتصدير خارجيًا، والسبب في ذلك يعود إلى قلة المدونات والمصادر التي غطت حياتهم اليومية، باستثناء الوثائق التي بحثت حول التمويل اليهودي في تلك المدة، ومعظمها من النوع الرسمي الحكومي، أو الكنسي، والتي ركزت على عدد قليل من كبار رجال الأعمال اليهود، أولئك الذين تظهر أسماؤهم بشكل متكرر، إلا ان ذلك الامر لا يعني ان اليهود عاشوا في مجتمع مغلق أو مكتفٍ ذاتيا أو كانوا معزولين عن العالم غير اليهودي المحيط بهم، بل هناك تعامل مع غير اليهود من خلال التعامل المالي كإقراض الاموال لقسم من اصحاب التجارة، والصناعيين، وذوي الحرف، كما برز العديد من اليهود في المهن كالتجارة، وصناعة النبيذ، والحرف اليدوية والطب وغيرها من المهن داخل انكلترا[٢].

١. التجارة:

كان اليهود في العصور الوسطى يعدون الزراعة المهنة اليهودية المثالية والأكثر أهمية، وأساسية في حياتهم، واكدت عليها كتبهم الدينية كالتوراة والتلمود، إلا ان

(1) John P. Henderson and John B. Davis, The Life and Economics of David Ricardo, Springer , New York, 1997, p.64.
(2) Harold Pollins, Economic history of the Jews in England, Associated University Presses, London ,1982, p.p.16-18.

مكانة الزراعة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية اليهودية تضاءلت بشكل مطرد بعد اصدار الأباطرة المسيحيون مراسيم صارمة عام ١١٥٨ م بشكل متزايد تحظر على اليهود امتلاك العبيد، وكانت تنطبق في بادئ الامر على العبيد المسيحيين فقط ثم على جميع العبيد في أوقات لاحقة، فأوقفت تلك المراسيم المشاريع الزراعية اليهودية بعد ان منعتها من امتلاك العمال والعبيد، كما طورت الكنيسة مفهومًا مفاده أنه يجب حرمان اليهود من أي مناصب سلطة أو شرف، وقد أدى هذا الموقف لاحقًا إلى استبعاد اليهود تلقائيًا من البنية الإقطاعية القائمة على ملكية الأرض والبنية الاجتماعية التي تجمعها(١).

دفعت القيود التي فرضها المسيحيون على النشاط الاقتصادي اليهودي إلى هجرة اليهود إلى شمال أوروبا والعمل بالتجارة، ولم يكتف اليهود في خلق اقتصاد جديد ومتنوع لأنفسهم تبعًا للظروف المتغيرة بل استمروا في ملء الفراغات المحدودة في الاقتصاد الاوربي العام، فقد كان للنشاط الاقتصادي اليهودي تأثير على أنماط الاستيطان اليهودي وتنقل اليهود، وفي الواقع لم يكن بوسع أي مدينة أو منطقة معينة أن تستوعب سوى عدد محدود من التجار اليهود أو المرابين، وقد استلزمت تلك القيود البحث المستمر عن أسواق جديدة للتجارة اليهودية أو الإقراض، الأمر الذي أجبر اليهود على البحث في مختلف الخيارات المتاحة للانتقال، فبدأوا ينتشرون ببطء إلى المدن والقرى المحيطة، ونظراً لتوافر المواد الأرشيفية الغنية في إنكلترا، فقد تتبع العلماء والباحثين النشاط الاقتصادي اليهودي في عدد من المدن الإنجليزية ببعض التفاصيل، فمنذ بداية حكم الملك هنري الثاني في عام ١١٥٤، تشير سجلات الخزانة الانكليزية إلى وجود مجتمعات يهودية منظمة في لندن،

(1) Salo Baron and others, Economic history of the Jews, Keter Publishing House, New York, 1975, p.107.

والعديد من المدن الانكليزية، كما مر بنا سابقًا وذلك يفسر حاجة اليهود المستمرة للبحث عن أسواق جديدة للتجارة والعمل(١).

استغل الملوك الإنكليز خبرة اليهود التجارية وارتباطاتهم الاقتصادية مع اليهود المنتشرين في أوروبا لتحقيق اكبر عائد اقتصادي ممكن فقد كانت منطقة نورماندي التي سرعان ما أصبحت جزءاً لا يتجزأ من إنكلترا، بمثابة الجسر التجاري الطبيعي بين انكلترا وفرنسا فمع تزايد الهجرة ونشوء المجتمعات اليهودية في لندن، نورويتش، ولينكولن، ويورك، ولين(Lynn)، وساوثهامبتون(Southampton)، ومدن أخرى، أصبحت تلك المجتمعات لاسيما تلك الموجودة في لندن متماسكة، وكان الحاخامات اليهود الفرنسيون البارزون الذين هاجروا إلى انكلترا، فضلاً عن الأفراد الذين كانوا مؤثرين في البلاط الملكي يقفون على رأس تلك المجتمعات، ونتيجة للاتصالات بين اليهود في أوروبا كان ملوك انكلترا حريصين على تنشيط العامل المالي في مملكتهم، وقد خدم ذلك المنطق البسيط القائم على البيع والشراء أساسًا للتواجد اليهودي في إنكلترا، وهو ما يفسر حقيقة مفادها أن التاريخ الكامل للعلاقات اليهودية – البريطانية لم يكن سوى جزء من تاريخ بريطانيا، فإن التعاملات المالية تحمل طابع البيع والشراء وهي معاملة يسعى كل طرف فيها إلى تحقيق أرباح أكبر، وفي ظل مثل ذلك النظام، يمكن للطرف الأقوى المتمثل بالسلطة الملكية أن يستغل الطرف الأضعف لتحقيق تلك الأرباح وزيادتها(٢).

(1) Robert Chazan, Reassessing Jewish Life in Medieval Europe, Cambridge University Press, 2010, p.104-105.
(2) Simon Dubnov and Moshe Spiegel, History of the Jews, Associated University Presses, New York and London, 1968, p.690.

ان الأهمية الاقتصادية لليهود جعلت الملك هنري الثاني يقر منذ بداية حكمة عام ١١٥٤، الحقوق والامتيازات التي أعطيت لليهود، بموجب المراسيم الملكية السابقة بما في ذلك الحقوق التجارية في داخل لندن وخارجها ولم يكتف بذلك بل منح التجار اليهود من خارج مملكته حقوقًا خاصة في الإقامة، والاتجار لاسيما التجار اليهود الالمان الذين كانوا يتاجرون بالفضة، والتجار اليهود الفرنسيين الذين كانوا يتاجرون بالنبيذ(١)، ويقدم المؤرخ ويليام فيتز ستيفن(William Fitzstephen) احد مواطني لندن ويمكن أن يُطلق عليه مؤرخ ذلك العهد، صورة عن التجارة لندن جاء فيها :"**من بين المدن النبيلة في العالم هي مدينة هنري الثاني، لندن عاصمة مملكة إنكلترا، هي واحدة من أكثر المدن شهرة، وذلك بسبب ثروتها، وتجارتها الواسعة، وعظمتها وروعتها. ... يأتي التجار إلى هذه المدينة من كل أمة في العالم، ويجلبون سلعهم عن طريق البحر: ذهب الجزيرة العربية، وتوابل وبخور سبأ، وأسلحة سكيثيا الحادة، وزيت النخيل من تربة بابل العميقة؛ وأحجار النيل الثمينة؛ وحرير الصين اللامع؛ ونبيذ الغال؛ وفراء النرويج الدافئ، والسمور الروسي**"(٢)، إلا أن بعض المؤرخين وجدوا اقتباس فيتز ستيفن مبالغًا فيه، ولكن ما تم ذكره في الاقتباس تم تأكيده من خلال الحقائق التي يُظهِرها تاريخ الخزانة الانكليزية أن الحرير والتوابل والبخور والأحجار الكريمة وزيت النخيل والأحجار الكريمة والفراء والنبيذ كانت جميعها تُجلب إلى لندن في ذلك العصر، الا ان المثير للاهتمام ان تلك التجارة لم تكن بأيدي سكان لندن، بل في أيدي تجار

(1) Martin J. Daunton, The Cambridge Urban History of Britain, Volume 1, 600-1540, Cambridge University Press, 2000, p.198.

(2) **Quoted in:** Edward Walford, Greater London: A Narrative of Its History, Its People and Its Places, Vol II, Cassell and Company Limited, London, 1898, p.2.

الشرق واليهود الذين أتوا إلى لندن سعيًا وراء الثروة والتجارة ليجعلوا من لندن مقرًا لهم(١).

يورد مارك كوهين(Mark R. Cohen)، في كتابه (بين الهلال والصليب وضع اليهود في القرون الوسطى) ان السبب وراء استحواذ اليهود على النشاط التجاري في أوروبا عائد إلى كره الكنيسة المسيحية الحصول على الأموال الاتية من الأرباح التجارية والربوية، فقد كان اباء الكنيسة يعتقدون أن الجشع هو المتحكم الرئيس بالتجارة، وان التجار يستعملون حيل غير أخلاقية رغبة في الكسب ناهيك عن اعتقادهم بتحكم التجار بالكثير من الاحتياجات الضرورية واحتكارها لذلك فضل المسيحيون الانشغال بالزراعة على العمل بالتجارة(٢)

لم يكن كره الكنيسة السبب الوحيد وراء ترك ذلك النشاط الاقتصادي بيد اليهود، بل ان تخصص اليهود بالتجارة لاسيما الخارجية منها عائد بشكل أساس إلى ان العالم كان منقسم إلى قسمين إسلامي ومسيحي، بالتالي اضحى القيام بالعمليات التجارية بينهما صعبًا للغاية بسبب اختلاف الشرائع الدينية، والتجارية، والمدنية، فاصبح اليهود بمثابة حلقة وصل تجاري كون الأقليات اليهودية في مختلف بلدان العالم تدين بنفس الدين وتتبع ذات القوانين الدنيوية التي تحكم التجارة والربا، كما أن

(1) Charles Capper, The Port and Trade of London, Historical, Statistical, Local, and General, London, 1862, p.14.

(٢) مارك ر. كوهين ، بين الهلال والصليب وضع اليهود في القرون الوسطى، ترجمة اسلام ديه، معز خلفاوي، الطبعة الأولى، بغداد، ٢٠٠٧، ص١٩٧-١٩٩.

اليهود كانوا يجيدون لغات مختلفة الامر الذي مكنهم من اجتياز الحاجز اللغوي في المناطق التي يتاجرون بها(١).

كان الاهتمام الرئيس للتجار اليهود في إنكلترا بحسب المؤرخ إسرائيل أبراهامز(Israel Abrahams)، الاتجار بالصوف الذي كان يشكل الصناعة الأساسية في إنكلترا في العصور الوسطى، ومحصول الذرة، كما انهم تاجروا بالأقمشة لاسيما اقمشة لندن و بريستول(Bristol)، التي وردت في الوثائق اليهودية(٢)، كما تاجر اليهود محليًا بالماشية فقد احتوت العديد من المواثيق الممنوحة لليهود على مواد تنظم ذبح الماشية من قبل اليهود فضلاً عن الحق في بيع اللحوم لغير اليهود، إلا أن الاستياء الكبير من قبل نقابة الجزارين المسيحيين التي اتهمت اليهود ببيع الأجزاء الزائدة غير النظيفة من اللحوم الناتجة عن الذبح الطقسي الامر الذي دفع اليهود على العمل كباعة متجولين وسماسرة المنتجات الزراعية وتجار للماشية(٣).

٢. سك العملة:

في أواخر القرن العاشر والحادي عشر كان نظام دار سك العملة الإنكليزية محل اهتمام بلدان غرب أوروبا وغربي الإمبراطورية البيزنطية، فبسبب تراجع السلطة الملكية عن دور سك العملة في الدول الاوربية، هيمنت الممالك الأنجلو-ساكسونية، والأنجلو – نورماندية في إنكلترا بصورة كبيرة على دور سك العملة،

---

(١) عبد الوهاب المسيري، الأقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومي، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٥، ص١٥.

2() Israel Abrahams, Jewish Life in the Middle Ages, The Jewish Publication Society, Philadelphia, 1969, p.p.222-223.

(3) Salo Baron and others, Op. Cit., p.129.

وأموال المملكة، مما أدى إلى استقرار ملحوظ في سك العملة، وتوليد عائدات كبيرة للملوك الإنجليز، إلا أن القرن الثاني عشر جلب تحديات جدية لإنكلترا هددت السيطرة الملكية على دور سك العملة، وجودة عملات المملكة، بالإضافة إلى الضرر المحتمل الذي قد يلحق بسمعة الملك وماليته، لان الارباك في العمل لدى دور سك العملة أنتجت مخاوف بين السكان الإنكليز بشأن موثوقية العملات، وعدت عاملاً مساهماً في التضخم والانحدار العام في الرفاهية الاقتصادية(١)، ولعل السبب في ذلك يعود بشكل أساس إلى إصدار عملات مستقلة للإمبراطورة ماتيلدا من جهة، والملك ستيفن بلو من جهة أخرى في المناطق الخاضعة لسيطرتهما(٢).

بعد تولي الملك هنري الثاني السلطة عام ١١٥٤، عمل على استعادة سلطته على دور سك العملة الإنكليزية، من خلال وضع نظام جديد للعملات كان الغرض منه إخراج العملات الرديئة من التداول وتأسيس عملة موحدة في جميع أنحاء المملكة، فتم التخلي عن ممارسة تغيير تصميم العملات كل بضع سنوات، وتقديم نمط قياسي موحد للعملة عرف باسم (الصليب المتقاطع) ونتيجة لاهتمام هنري الثاني بإصلاح العملة اكتسبت المقاطعات الانكليزية قدراً كبيراً من الخبرة في إدارة العملات، وبفضل المساعدة المباشرة من الخبراء وضع إصلاح ثانٍ في إنكلترا عام ١١٨٠، نتج عنه عملة جديدة عرفت باسم (الصليب القصير)، ذات التصميم

(1) Gilbert M. Stack, English Mint Administration, Moneyers and Monetary Reform in the Reign of Henry II, 1154-1189, dissertation, The Department of History, Fordham University, 2004, p.p.1-2.
(2) Christopher Harper-Bill and Nicholas Vincent, Henry II: New Interpretations, Boydell Press, UK, 2007, p.258.

المتفوق، فعزز الإصلاح قدرة الملك على التحكم في جودة العملات الإنجليزية مع زيادة إيرادات التاج المرتبطة بالسكة في نفس الوقت(١).

بقي الصراف مستقلاً في بتعاملاته المالية، لاسيما في الحصول على امتياز إنتاج عملات جديدة، لكن الصراف على الرغم من استقلاليته كان مسؤولًا امام الملك، وأهم من ذلك كله كان عليه إن يحقق أكبر قدر من الأرباح من خلال التبادل وليس من خلال سك العملة فقط، ليتم تحويل تلك الأرباح إلى الخزانة الملكية(٢).

هنا لا بد من الإشارة إلى أن اليهود ادوا دورًا رائدًا ليس فقط في إقراض الأموال، بل وأيضًا في سك النقود وتبادلها في جميع أنحاء أوروبا في ذلك الوقت، وعلى الرغم من ان المدى المؤثر لمشاركة اليهود في سك النقود وتبادلها ، إلا أن المؤشرات تشير إلى أنها كانت أكثر أهمية في القرن الثاني عشر، مما كان يُعتقد سابقًا، فقد كان مدير دار سك النقود يهودي شخصية رئيسية في تحويل اقتصاد المقايضة في أوروبا في العصور الوسطى إلى اقتصاد نقدي، ويُظهِر القرن الثاني عشر مستأجرين يهودًا لدار سك النقود في كل دولة أوروبية تقريبًا: في أراغون، وقشتالة، وكاتالونيا، والنمسا، والعديد من الولايات الألمانية، وموارفيا، والمجر، وبولندا، وانكلترا، ففي كانتربري، عاش عمال دار السك في الحي اليهودي، ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ أن أحد هؤلاء العمال كان نيكولاس(Nicolas)، وهو يهودي اعتنق المسيحية، والذي نشط في وقت مبكر من عام ١١٨١، ولم يقتصر

(1) W. L. Warren, Henry II : University of California Press, California, 1973, p.265.
(2) W. L. Warren, Op. Cit., p.265.

الامر على نيكولاس فقد تم التعرف على العديد من اليهود العاملين في صياغة المعادن أو مسؤولي دار السك أو كليهما[١].

مازلنا في تتبع دور اليهود في سك العملة ابان عهد الملك هنري الثاني اكدت التنقيبات الاثرية على وجود عدد كبير من العملات المعدنية التي تم العثور عليها في إكليس(Eccles)، ضمن مدرسة مانشستر الانكليزية تمكن الدكتور جون إيفانز(Jonny Evans) من إجراء عدد من الاستدلالات التي أعطت إجابة شبه جيدة لما كان معروفًا بين علماء العملات الإنكليز باسم (عمله الصليب الصغير)، ومن خلال بعض الاختلافات الدقيقة في صورة الملك هنري الثاني على العملات المعدنية في شكله او صورته وما إلى ذلك، تمكن من التمييز بين خمسة أنواع مختلفة من العملات، يعود بعضها إلى عام١١٨٠ ، ومن بين الأسماء القليلة للمصرفيين المعروفين في السجلات الملكية تم العثور على بعض العملات المعدنية التي تم العثور عليها في إكليس تحمل اسم صاحبها (أي الذي قام بسكها) ومنهم إسحاق(Isaac) من أون الذي أشار اليه هيوبرت هول(Hubert Hall) في كتابه حياة البلاط في عهد أسرة بلانتاجنت(Court Life Under The Plantagenets) ان إسحاق كان تاجرًا يهوديًا[٢].

لم تقتصر الأدلة التاريخية على دور اليهود في سك العملة على وجود أسمائهم عليها، بل ان الاتهامات التي كانت توجه لهم بين الفينة والأخرى بقص العملات المعدنية أي قطع شرائح رقيقة من حواف العملات الفضية دليلاً اخر على عملهم

(1) E.M. Rose, The Murder of William of Norwich: The Origins of the Blood Libel in Medieval Europe, Oxford University Press, 2015, p.201.
(2) Quoted in :Abrahams and C. G. Monteflore, The Jewish Quarterly Review, Volume V, London, 1893, p.75.

بسك العملة[١] ، ففي أواخر سبعينيات القرن الثاني عشر ألقى مسؤولي الخزانة الانكليزية باللوم على المزورين اليهود وصانعي القطع النقدية بسبب الوزن المنخفض للعملات المعدنية التي يتم استلامها من الخزانة، فقد كانت خمس نقود جايتون وليستر التي تم إيداعها عند نهاية سك العملات المعدنية في عام ١١٨٠، تحتوي على أعداد كبيرة من العملات المعدنية المقصوصة والخفيفة الوزن، ونتيجة لذلك اتُهم المرابون اليهود بإفساد العملة عن طريق التزوير وتم نقلهم إلى محكمة أكسفورد للمحاكمة في ذات العام[٢].

٣. المهن الأخرى:

لم يكن اليهود على المسيحيين في التجارة وسك العملة فقط فقد شكل اليهود الجزء الأكثر استنارة من سكان أوروبا، بل وكانوا من العوامل الرئيسية للحضارة فيها فلم تكن هناك اعداد كبيرة من طبقات المجتمع متعلمة في تلك الأيام، وكان رجال الدين باستثناءات قليلة غارقين في التعصب والجهل، وان ما وجد من علم في العالم الغربي فهو في الغالب يعود لليهود، فقد كان اليهود في إسبانيا يشغلون بعض الكراسي الرئيسية في الرياضيات في الجامعات الإسلامية في قرطبة وإشبيلية، كان يهود ذلك البلد متفوقين في كل بعض العلوم المعروفة آنذاك، وكان إخوانهم في بقية بلدان اوروبا يأخذون نصيبهم أيضًا بحرية من شجرة المعرفة، وعليه امتهن اليهود في إنكلترا مهنة التعليم فكما كان اليهود يدرسون الهندسة، والمنطق، والفلسفة في جامعات أكسفورد وباريس، حتى أسسوا مدارس أو كليات في لندن ويورك ولينكولن

(1) Edward Potts Cheyney, A Short History of England, Ginn Company, New York and London, 1904, p.218.
(2) Martin Allen, Recoinages in medieval England, Department of Coins and Medals, Fitzwilliam Museum, Vol. clxiv, University of Cambridge, UK, 2018, p.244.

وأكسفورد وكامبريدج ونورويتش؛ وكان اليهود والمسيحيون على حد سواء يتوافدون إلى هناك لسماع الحاخامات البارزين وهم يشرحون مبادئ الحساب، واللغتين العبرية، والعربية، ولم يقتصر التعليم على اليهود الموجودين في داخل إنكلترا بل أن إبراهيم بن عزرا(Abraham Abenezra) الذي يتم ذكره في المصادر الاوربية بابن عزرا (Abenezra)[١]، والذي كان حينذاك اشهر علماء اليهود زار إنكلترا عام ١١٥٩، وألقى هناك بعض المحاضرات باللغة العبرية[٢]، كما دأب اليهود على ترجمة أعمال المسلمين من اللغة العربية إلى العبرية لتعليم شعبهم، وإلى اللاتينية من أجل الشهرة والربح المالي، حتى اصبحوا معلمين للعلماء المسيحيين في أوروبا[٣].

---

(١) إبراهيم بن عزرا : حاخام مشهور ولد في طليطلة بإسبانيا عام ١٠٩٩، ويطلق عليه اليهود لقب الطبيب الحكيم، وكان مفسرًا بارعًا للكتاب المقدس، وكان ماهرًا في قواعد اللغة والشعر والفلسفة والفلك والطب، وكان أيضًا متقنًا للغة العربية، تميز عزرا باسلوب واضح بشكل عام وموجز، سافر إلى معظم= =أنحاء أوروبا، وزار إنجلترا وفرنسا وإيطاليا واليونان وغيرها من البلدان لغرض اكتساب المعرفة، وتفوق على اقرانه كثيرًا في التعلم الديني والدنيوي، كتب أعمالًا لاهوتية ونحوية وفلكية عديدة، توفي عام ١١٧٤ في جزيرة رودس في اليونان. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Alexander Chalmers, The General Biographical Dictionary Containing an Historical and Critical Account of the Lives and Writings of the Most Eminent Persons, Vol. I, London, 1812, p.55.

(2) James Picciotto, Sketches of Anglo-Jewish History, London, 1875, p.p.8-9.

(3) Sharon Turner, The History of England During the Middle Ages, Vol. IV, Longman Hurst Rees Orme Brown and Green, London, 1853, p.44.

كما عمل اليهود في العديد من المهن والحرف فقد امتهنوا الطب فكثيراً ما ذُكِر مهارة اليهود كأطباء في العصور الوسطى، وكان الملك والبارون والفارس يرسلون باستدعاء الاطباء اليهود عندما يمرضون أو يصابون بجروح، وكان الطبيب اليهودي بفضل العلاجات العديدة التي عالج فيها مرضاه يثير حسد وعداء الرهبان الذين ادعوا استعادة الصحة بمساعدة الاعمال الكهنوتية، ونتيجة لبراعة اليهود في الطب اتهموا بانهم كانوا على دراية بأسرار القبالة والعلوم الطبية بفضل الشعوذة والسحر، إلا انه وبمرور الوقت اثبت اليهود ان ممارستهم للطب تتم عن طريق العلوم لا الشعوذة(١)، وإلى جانب امتهان الطب اشارت الأدلة إلى أن اليهود الإنجليز امتهنوا صناعة النبيذ، والجبن، والصياغة، والمراهنة، كما عملوا في إصلاح وتجديد المجوهرات والأطباق والملابس والدروع، لجعلها قابلة للبيع مرة أخرى(٢).

نستنتج مما ذكر أعلاه وعلى الرغم من أن غالبية المصادر الوثائقية كانت تصف اليهود الإنكليز في العصور الوسطى على أنهم مقرضون للمال بشكل شبه حصري، فمن غير المعقول أن يتمكن أي مجتمع من العصور الوسطى سواء كان يهودياً أو مسيحياً من العيش على إقراض المال فقط، والسبب في التركيز على دور اليهود في الإقراض في تلك المصادر عائد بشكل أساسي إلى ان النشاط الربوي كان النشاط الأساسي لليهود بتعاملاتهم مع مركزي القرار في إنكلترا سواء كان

(1) James Picciotto, Op. Cit., p.9; Clergyman of the Church of England, The Anglo-Hebrews: Their Past Wrongs and Present Grievances. Two Epistles, with a Postscript, L. Booth, 307 Regent Street, London, ND, p.11.
(2) Sheila Delany, Chaucer and the Jews, Taylor & Francis, New York, 2002, p.61.

الملك او الكنيسة، غطى النشاط الربوي على مختلف الأنشطة الاقتصادية لليهود التي كانت تدر ارباحًا كبيرة لهم لاسيما من خلال عملهم بالتجارة، او التبادل النقدي، وحتى الأموال التي كان يحصلون عليها من الحرف اليدوية، او من خلال ممارستهم لمهنتي التعليم والطب داخل المجتمع الإنكليزي، وبالتالي اسهمت تلك المهن التي مارسها اليهود في ان تشكل مصدرًا مهمًا من مصادر الدخل اليهودي.

المبحث الثالث

أثر الحملات الصليبية على أوضاع اليهود في إنكلترا ١١٥٤-١١٨٩

اولاً: أوضاع اليهود في إنكلترا خلال الحملات الصليبية الأولى والثانية:

بدأت الحملة الصليبية الأولى في السابع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٠٩٥، بعد إلقاء البابا أوربان الثاني(Pope Urban II)(١٠٨٨-١٠٩٩) [١]، خطابًا له أمام مجمع كليرمونت(Council of Clermont) في فرنسا حث فيه المسيحيين على التطوع للسير شرقًا إلى القدس، ووعد أوربان بغفران خطايا المتطوعين في خطوة كان الغرض منها طرد المسلمين من الأراضي المقدسة في فلسطين والتي كانت تحت السيطرة الإسلامية منذ القرن السابع[٢]، في حين يرى البعض يرى ان الحملة الصليبية ما هي الا حملة يهودية تحت غطاء مسيحي[٣]، فيعتقد بعض الباحثين ان اليهود كانوا سببًا خفيًا دفع الصليبيين لغزو البلاد المقدسة بعد عجزهم عن العودة إلى بلاد المقدس بأنفسهم فحاولوا العودة خلف المسيحيين

---

(١) ولد حوالي عام ١٠٣٥، أصبح رئيسًا لدير كلوني، ثم عينه البابا جريجوري السابع كاردينالًا، انتخب لمنصب البابا عام ١٠٨٨، وأمن سلطته ضد (البابا المزيف) كليمنت الثالث ، دعا إلى الحملة الصليبية الأولى في مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥، استجابة لنداء أليكسيوس الأول كومنينوس، وروج لاتحاد الكنائس الشرقية والغربية، ودعم استعادة المسيحيين لإسبانيا من المغاربة. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Britannica Concise Encyclopedia, Op. Cit., p.p.1974-1975.

(2) Steven Rogers, The Great Work, Writers Club Press, San Jose, New York, Lincoln Shanghai, 2001, p.85.

(٣) بهاء الأمير، اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٣، ص٢١١-٢١٢.

متخذين من المال وسيلة لهم في إخفاء مشاعرهم الدينية(١)، سنحاول من خلال هذا المبحث الوصول إلى نتيجة منطقية قدر الامكان.

ان استخدام المال لتحقيق المآرب اليهودية تمثل في سياسية الإقراض واسعة النطاق التي تبناها اليهود فقد كانت الرحلة إلى بيت المقدس سواء كحاج، او كجنود صليبيين تتطلب أموال كبيرة، وعليه كان على الصليبيين ان يمولوا انفسهم بأنفسهم أن لم يكونوا ضمن حاشية احد اللوردات، ولذلك السبب لجأ الكثير ممن شاركوا في الحملات الصليبية إلى الاقتراض من رجال الاعمال والمرابين حتى يتمكنوا من الذهاب إلى بيت المقدس، وكان اليهود على رأس هؤلاء المقرضين(٢).

شارك في الحملة الصليبية الأولى العديد من النبلاء الإنكليز ففي السنوات التي تلت عام ١٠٩٩، وبغض النظر عن النبلاء الإنكليز الذين شاركوا في الحملة الصليبية والذين كانوا قادرين على تحمل نفقاتها، فقد احتاج الفرسان من أصحاب الأراضي الذين يرغبون في المشاركة في حملة صليبية إلى مبالغ كبيرة من المال، وكانت أسرع طريقة للحصول عليه هي جمع الرهن العقاري على أراضيهم، أي الحصول على قروض مقابل رهن اراضيهم ضمانًا لتسديد تلك القروض، وبالإمكان الاستفادة من اتصالاتهم في الخارج لتوفير سيولة مالية إضافية، فدفع الحماس الديني الفرسان المسيحيون لاقتراض مبالغ هائلة من اليهود والتي غالبًا ما كانوا غير قادرين على سدادها(٣).

---

(١) احمد شلبي، مقارنة الأديان اليهودية، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨، ص٩٠-٩١.

(2) Stephen Bennett, Elite Participation in the Third Crusade, The Boydell Press, New York, 2021, p.42.

(3) Rebecca Fraser, The Story of Britain: From the Romans to the Present: A Narrative History, W. W. Norton, New York, 2003, p.149

غيرت الحاجة إلى المال لتمويل الحملات الصليبية العلاقات بين المجتمعين، المسيحي، واليهودي الذي سبب المشاعر المعادية لليهود، لاسيما بعد الخلافات حول قيمة الفائدة على تلك القروض المسلمة للصليبيين، فقد فكان الفرسان يعودون من الحروب الصليبية ليُفاجئوا إن سعر الفائدة قد زاد في غيابهم، بسبب تأخر سداد الدين، إذا ارتفع سعر الفائدة فجأة إلى(٥٠٪)، أو أكثر على قرض وهو ما كان يحدث في كثير من الأحيان فإن مالك الأرض الصغير الذي لا يستطيع سداد دينه كان يجد أن نصف أرضه قد انتقلت إلى دائنيه، ولأن قسم من المسيحيين كانوا فقراء في السيولة النقدية، ومعتادين على الحياة الريفية الإقطاعية، واقتصاد المقايضة، فلم يكن لديهم أي فهم للفائدة والفائدة المركبة الناتجة عن تأخر تسديد الديون، ولم يكونوا يدركون سوى الاستخدام غير العادل لها لكسب المال، وعليه كان الفرسان الإنكليز المسيحيون يصبون غضبهم على المقرضين اليهود وليس المسيحيين، وباعتبارهم أقلية فأصبح اليهود كبش فداء لتهور صغار ملاك الأراضي الذين ارادوا التملص من تسديد القروض وفوائدها، عندما جاء موعد التسديد استاء الصليبيون من اضطرارهم إلى بيع الأراضي لسداد ديونهم ما زاد من حساسية وعداء الصليبيين لليهود[١].

تعرضت المجتمعات اليهودية نتيجة لذلك للمذابح خلال الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٥-١٠٩٩) فقد هاجم الصليبيون المجتمعات اليهودية في المدن الراين (Rhein)، فحرقت معابدهم ومنازلهم على حد سواء[٢]، لم تقتصر عمليات الإبادة التي تعرض لها اليهود على أوروبا، بل لم يكن بوسع اليهود أن يتوقعوا معاملة أفضل من بقية السكان الأصليين المتواجدين في فلسطين، وكان عليهم أن يتوقعوا معاملة أسوأ، فقد وصلت أنباء المذابح الرهيبة التي تعرض لها اليهود في منطقة شرق الراين، في عام ١٠٩٧، أي قبل عام من وصول الجيوش الصليبية، فاستعدت

(1) Rebecca Fraser, Op . Cit., p.149.

(2) Dan Desmarques, Stupid People: Identifying, Analyzing and Overcoming Their Toxic Influence, 22 Lions, 2024, p.p.115-116.

المجتمعات اليهودية من أنطاكية في الشمال إلى رفحاء في الجنوب للأسوأ في حالة انتصار الصليبيين، وحاول البعض البحث عن ملجأ في المدن الكبرى والتحصينات تفاديًا للقتل، وبذلك كانت الحملة الصليبية بمثابة كارثة للمجتمعات اليهودية بذات القدر الذي أصاب المسلمين، فقد قتل اليهود في القدس عام ١٠٩٩، وحيفا عام ١١٠٠، وفي أماكن أخرى مثل أنطاكية، والجبيل، وبيروت تم إبادتهم مع السكان المحليين، وحاول من نجا منهم الفرار إلى الأراضي الإسلامية في الخلافة العباسية في العراق أو الإمامة الفاطمية في مصر(١).

خلال انطلاق الحملة الصليبية الثانية (١١٤٧-١١٤٩) تزايدت مشاركة الانكليز أكثر من مشاركتهم في الحملة الصليبية الأولى، فقد حمل عدد من كبار الإنكليز لاسيما ملاك الأراضي(٢)، الصليب وانضموا إلى جيش ملك فرنسا لويس السابع(Louis VII)(٣).

كان تمويل الحملات العسكرية وتمويل الفرسان في الحملة الصليبية الثانية عملية معقدة شاركت فيها المؤسسات الدينية بشكل وثيق، فاليهود في إنكلترا كانوا

---

(1) Norman P. Zacour and Harry W. Hazard, A History of the Crusades, Volume V: The Impact of the Crusader States on the Near East, University of Wisconsin Press, 1985, p.p.94-95.

(٢) مثل كبار ملاك الاراضي كل من واليران من مولان(Waleran of Meulan)، إيرل ووستر(Earl of Worcester)، ووليام من وارين(William of Warenne)، وروجر من موبراي(Roger of Mowbray)، ووليام فيتزجيلبرت من كلير(William Fitz Gilbert of Clare)، وفيليب من جلوستر(Philip of Gloucester)، وغيرهم الكثير, لمزيد من التفاصيل ينظر:

Christopher Tyerma, England and the Crusades, 1095-1588, University of Chicago Press, Chicago, 1996, p.p.30-32.

(٣) عرف باسم لويس الأصغر ولد حوالي عام ١١٢٠ ، نصب ملكًا على فرنسا عام ١١٣٧، وبقي في منصبه حتى وفاته عام١١٨٠. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Britannica Concise Encyclopedia, Op. Cit., p.1140.

يبحثون عن ضمانات لقروضهم ولم يجدوا ضمانة اكثر موثوقية من الكنائس والاديرة مثل كنيسة القديس بطرس، وبعض الاديرة فقد حاول الرهبان ورئيس الدير مساعدة من شارك في الحملات على هيكلة ديونهم لصالح المقرضين، فقد كانت كنيسة القديس بطرس هي الضامن لقروض يهود غلوستر(Gloucester Jews)، وكان رئيس دير هاتفيلد بيفرل، إسيكس(Hatfield Peverel, Essex) ضامنًا لقروض يهود نورويتش(Norwich Jews)، وبذلك شكلت الكنائس والاديرة انموذجًا لمشاركة الكنيسة والدير كمصدر للتمويل المحلي، وضامن لقروض اليهود(١).

أثناء الحملة الصليبية الثانية وعلى الرغم من الغموض الذي صاحب التاريخ الإنجليزي اليهودي خلال الأعوام ١١٤٦–١١٤٨، لاسيما بعد تعرض اليهود للاضطهاد في فرنسا وإسبانيا وألمانيا، ولكن في إنكلترا بدا أنهم نجوا من المذابح فبالرغم من أن اتهام القتل الطقوسي كان قد أثير ضدهم لأول مرة في قضية ويليام نورويتش(William of Norwich)(٢)، إلا أن الملك ستيفن بلو الذي استعاد السلطة في إنكلترا في عام ١١٤٦(٣)، اتخذ قرار بحمايتهم بقوته الملكية، وترجمت تلك الحماية على ارض الواقع بعد ان نجح في حمايتهم، في وقت عانى يهود بوهيميا(وسط جمهوري التشيك حاليًا) من السلب والنهب والقتل عندما مر الصليبيون عبر بلادهم، إذ لقي مائة وخمسون منهم حتفهم، ولم يتمكن الباقون من

---

(1) E.M. Rose, Op. Cit., p.138.

(٢) في الخامس والعشرين من آذار عام ١١٤٤ ، عُثر على جثة صبي يدعى ويليام نورويتش عليها علامات تعذيب في غابة ثورب بالقرب من نورويتش فاتهم اليهود بقتلة لممارسة شعائرهم الدينية. لمزيد من التفاصيل ينظر:

The Catholic Encyclopedia: Tournon-Zwirner, Volume. XV, New York, 1912, p.635.

(3) Joseph Jacobs, Op. Cit., p.259.

ممارسة حياتهم الطبيعية إلا بعد أن عبر جيش الصليبيين الفرنسي عبر ألمانيا وتقدم إلى ما وراء حدودها، عندئذ تمكن اليهود من مغادرة أماكن لجوئهم في القلاع(١).

لم تكن حماية الملك ستيفن بلو لليهود خلال الحروب الصليبية دون مقابل، فمنذ اليوم الاول لتسلمه السلطة في انكلترا بدأ يرسل رسائل اهتمام وتطمين لليهود في بلاده، لاسيما بعد تزايد نشاط اليهود في التجارة والتمويل في لندن، في وقت كان فيه الملك ستيفن بلو بحاجة دائمة إلى المال لإعالة جيشه في الميدان بسبب الحرب الاهلية، ناهيك عن الضائقة مالية التي كان يعاني منها إلى الحد الذي جعله عاجزاً عن سداد ديونه التي بلغت (١٠٠) مليون جنيه إسترليني، وعليه كان الملك ستيفن يسعى للحصول على التمويل المالي من المقرضين اليهود مقابل توفير الحماية اللازمة لهم(٢).

ثانيًا: اوضاع اليهود الاقتصادية والاجتماعية خلال الحملات الصليبية التي عاصرت حكم الملك هنري الثاني.

عبر الملك هنري الثاني في كثير من الأحيان عن رغبته في قيادة حملة صليبية إلى الشرق، إلا أنه لم يحمل الصليب فعليًا(٣)، واكتفى بتمويل الحملة الصليبية الثالثة، فقد اجبر الملك هنري الثاني اليهود في إنكلترا على دفع الضرائب العسكرية منذ عام ١١٥٩، إذ كان يتم تعبئة أموال اليهود في براميل مقفلة وشحنها إلى

(1) Heinrich Graetz, History of the Jews, Cosimo Incorporated, New York, 2009, p.356.

(2) Kevin T. Streit, The Expansion of the English Jewish Community in the Reign of King Stephen, A Quarterly Journal Concerned with British Studies, Vol. 25, No. 2 , Summer,1993, p.p.186-187.

(3) Megan Cassidy-Welch, Remembering the Crusades and Crusading, Taylor & Francis, London and New York, 2017, p. 146

الموانئ لشحنها إلى الشرق، فاستفاد الجنود في القدس كثيرًا من الأموال التي قدمها الملك الانكليزي هنري الثاني لهم، ولم يقتصر الامر على ذلك بل ان الملك هنري الثاني ومن خلال العديد التعهدات السياسية والكنسية وعد بدفع الاموال إلى الأراضي المقدسة خلال اجتماع اجري عام ١١٦٦، وبناء على طلب البابا ألكسندر الثالث قرر الملوك فرض ضرائب على الشعب لمدة خمس سنوات لمساندة الجهود الصليبية، فوجه ملك فرنسا لويس السابع بفرض بنسًا واحدًا لكل فرنك من الممتلكات والإيرادات في فرنسا، وتم جمعها سنويًا لمدة خمس سنوات، فيما كانت ضريبة هنري الثاني مماثلة ولكنها كانت تفرض بنسين لكل جنيه، وكان من المقرر إرسال كلتا المجموعتين من الاموال مباشرة إلى القدس(١).

لم يسلم اليهود من التعهد الذي قطعه هنري الثاني على نفسه فقد الهمت الضرائب التي فرضها ملك فرنسا لويس السابع على اليهود وتمكنه من جمع (١٥,٠٠٠) الف مارك إلى دفع هنري الثاني إلى ذات الأسلوب، ففي عام ١١٦٦، وبتشجيع من ملك فرنسا لويس السابع أصدر الملك هنري الثاني مرسوماً جديدًا يقضي بأن يدفع كل رعاياه ضرائب على ممتلكاتهم المنقولة، وإيراداتهم على مدى خمس سنوات، وهنا نجد تغير في أسلوب فرض الضرائب ففي حين كانت الضرائب الإنكليزية حتى ذلك الحين تستند إلى حيازات الأراضي فقط، فقد استغلت تلك الضريبة الجديدة الثروة المنقولة أي الأموال والبضائع، وقد تم ابتكار تقنيات متطورة

(1) John D. Hosler, Op. Cit., p.p.166-169.

لتقييم وجمع تلك المصادر الجديدة للإيرادات، والاهم من كل ذلك ان الضريبة الجديدة شملت جميع رعاياه بضمنهم اليهود(١).

اما مقدار الضريبة التي فرضها الملك هنري الثاني عام ١١٦٦، لدعم الحرب في الأرض المقدسة لم تتجاوز ستة بنسات للجنيه على الأمتعة الشخصية لكل رجل، وتُجمع في خمس سنوات بمعدل بنسين في السنة الأولى وبنس واحد في كل من السنوات الأربع التالية(٢)، ووعد هنري بتمويل الحملات الصليبية مرة أخرى في عام ١١٨٥، وهذه المرة استجابة لالتماس البطريرك هرقل ١١٢٨– ١١٩٠ (Heraclius of Auvergne)(3) ، الذي سافر غربًا للتوسط للحصول على مساعدة كل من ملك انكلترا هنري، والملك الفرنسي فيليب الثاني(Philippe II)(١١٨٠-١٢٢٣)(٤) في النضال ضد الناصر صلاح الدين الايوبي، فقد عرض

(1) John W. Baldwin, The Government of Philip Augustus Foundations of French Royal Power in the Middle Ages, University of California Press, 1986, p.52.

(2) The Pictorial History of England Being a History of the People, as Well as a History of the Kingdom, Volume I, Charles Knight, London,1838, p.582.

(3) البطريرك هرقل : ولد في أوفيرني – فرنسا عام ١١٢٨، درس في بولونيا، عُيّن رئيس شمامسة القدس عام ١١٦٩، و منصب رئيس اساقفة قيصرية عام ١١٧٩، ثم اصبح عام ١١٨٠، بطريك القدس فضلاً عن العديد من المناصب الدينية الاخرى، توفي عام ١١٩٠. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Gust de Preter, Over koningen, kruisvaarders en jihadi's de Levant beschreven door bisschop en historiograaf Willem van Tyrus (ca. 1130-ca. 1186), Universitaire Pers Leuven, 2017, p.p.83-84.

(٤) فيليب الثاني: ولد في عام ١١٦٥، خلف والده لويس السابع في حكم فرنسا عام ١١٨٠. تزوج من إيزابيلا من هينو، ابنة أخ كونت فلاندرز، في الجزء الأول من حكمه نفى اليهود وصادر ممتلكاتهم، وشجع أبناء هنري الثاني ملك إنكلترا في التمرد ضد والدهم، بعد أن حمل

عليهم هرقل مفاتيح القبر المقدس كوسيلة للإقناع، فعقد مؤتمرًا لمناقشة الطلب، وبينما كان البطريرك يأمل أن يأخذا احداهما الصليب ويقودا الجنود إلى الشرق شخصيًا، لم يكن هنري ولا فيليب ملك فرنسا على استعداد للذهاب إلى ذلك الحد، وبدلاً من ذلك، وعدا بالمال والدعم المادي، والسبب في عدم ذهاب ملك انكلترا هنري الثاني بنفسه وتقديم المال بدلاً من ذلك يعود إلى أن مستشارو هنري حكيمين بما فيه الكفاية لينصحوا الملك بالبقاء في انكلترا للتعامل مع المشاكل التي كانت قائمة بين أبنائه، والاستعاضة عن الذهاب إلى القدس بفرض ضريبة تدريجية لمدة ثلاث سنوات على الدخل والمنقولات(١).

دخلت أوروبا في عام ١١٨٧، مرحلة جديدة من مراحل الحروب الصليبية حتمت على ملوكها اتخاذ إجراءات حازمة لنصرة الصليبيين، فقد هزم الناصر صلاح الدين الايوبي وقواته المسيحيين في معركة حطين عام ١١٨٧ واستولى على عكا والقدس، فأثارت أنباء فتح القدس على وجه الخصوص مشاعر هائلة بين المسيحيين في أوروبا، ففي حين لم يشارك أي ملك فعليًا في الحملات الصليبية، وأصبح استعادة القدس بعد معركة حطين واجبًا على كل مسيحي بشكل عام، وعلى ملوك الدول الاوربية بشكل خاص، فقد استجابت البابوية بشكل سريع بعد ان

الصليب في عام ١١٨٨، حشد جيشًا واتحد مع ريتشارد الأول ملك إنكلترا في حملة صليبية، انطلقوا من جنوة ومرسيليا في عام ١١٩٠، وقضوا الشتاء في صقلية، ووصلوا إلى عكا في ربيع عام ١١٩١، لكن نشأت الخلافات بين فيليب وريتشارد، تخلى الأول بحجة المرض عن المشروع ووصل إلى باريس في كانون الأول عام ١١٩١، توفي عام ١٢٢٣. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Joseph Thomas, The Universal Dictionary of Biography and Mythology Vol. III, Iac – Pro, New York, 2009, p.1787.

(1) John D. Hosler, Op. Cit., p.167.

تعززت هيبتها وسلطتها بشكل كبير من خلال الحملات الصليبية، بأن من واجب رجال الدين أن يبشروا بعهد جديد[١].

لقد أعلن البابا غريغوري الثامن(Gregory VIII)(١١٨٧)[٢]، أن الاستيلاء على القدس من قبل الناصر صلاح الدين كان عقاباً لخطايا المسيحيين في مختلف أنحاء أوروبا، وبالتالي، لم يكن لأي ملك الحق في التهرب من واجب الذهاب في حملة صليبية بنفسه (أو على الأقل إرسال ابنه أو أخيه مع مجموعة مناسبة من الفرسان بدلاً من ذلك) من أجل استعادة الأرض المقدسة من المسلمين، وعلى وجه الخصوص لم يكن بوسع ملوك فرنسا وإنجلترا وألمانيا أن يجازفوا بتحمل العار المتمثل في رؤية رايتهم غائبة عن رايات باقي الصليبيين ولذلك حث ملك فرنسا، فيليب الثاني وملك إنكلترا هنري الثاني على التخلي عن خلافاتهما الخاصة والتعهد معًا بأخذ الصليب[٣].

لقد كان الضرر شديدًا فبحسب وجهة النظر الصليبية كاد الغرب اللاتيني أن يكتسح لولا مساعدة ملوك إنكلترا وفرسان الهيكل(The Knights Templar)[٤]،

---

(1) Maxi Hinze, The Third Crusade and Its Impact on England, Universitat PotsdamInstitut fur Anglistik Amerikanistik Abteilung: Kultur und Kulturgeschichte , 2007, p.3.

(٢) البابا غريغوري: ولد في ايطاليا، خلف أوربان الثالث في عام ١١٨٧، لكنه توفي بعد شهرين. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Charles Morris, The Blue Book of Biography, J.C. Winsted Company, Philadelphia , 1911, p.271.

(3) Maxi Hinze, Op. Cit., p.p.3-4.

(٤) فرسان الهيكل: منظمة عسكرية كاثوليكية تأسست عام ١١١٨، في القدس، اسسها رهبان كنيسة القيامة لحماية الحجاج المسيحيين في طريقهم إلى الأراضي المقدسة(القدس)، وسرعان

البريطانيين وغيرهم، فقد كانت الاستعدادات المسيحية في أوروبا للرد على ما اسموه بالكارثة بطيئة بشكل كبير، كانت الاستجابة مجزأة، وتأخرت بسبب ضعف الاتصالات، والصراعات الداخلية، والمشهد السياسي المجزأ ، لكن الملك الانكليزي هنري الثاني، على الرغم من عدم رغبته أو عدم قدرته على قيادة حملة صليبية بنفسه كان أسرع من أغلب الحكام الأوروبيين في استجابته للأزمة، وقد ساعده في ذلك كفاءة بيروقراطيته التي مكنته من مواصلة جمع الأموال لحملة صليبية أخرى(١).

ان استجابة هنري الثاني لنداءات البابا تمثلت بفرض ضريبة أخرى سميت بـ عُشر صلاح الدين(The Saladin Tithe was a tax)، ووفقاً لقانونها فقد فرض تلك الضريبة الملك فيليب الثاني ملك فرنسا والملك هنري الثاني ملك إنكلترا بموافقة مشتركة من الأساقفة والكونتات، والبارونات في أراضيهما، واتفقوا على أن يدفع الجميع من الموظفين والعلمانيين لمدة ثلاث سنوات ضريبة تصاعدية على أساس الدخل والمنقولات مثل الضرائب الأخرى، وكذلك عُشر صدقات أولئك الذين ماتوا خلال السنوات السابقة، وفيما يلي نص مرسوم عشور صلاح الدين(٢) :

ما أصبحت من أقوى وأغنى المنظمات في أوروبا، حلت المنظمة عام ١٣٠٧، بعد أنتهاء الحروب الصليبية، لاسيما بعد اتهامها بالهرطقة. لمزيد من التفاصيل ينظر:

Jordan Aumann, Christian Spirituality in the Catholic Tradition, Ignatius Press, San Francisco, 1985, p.p.113-114.

(1) Steve Tibble, Templars The Knights Who Made Britain, Yale University Press, 2023, p.110.

(2) ضريبة عشور صلاح الدين فرضها هنري الثاني ملك انكلترا بالتعاون مع فلب اوغست ملك فرنسا سميت عشور صلاح الدين الهدف منها جمع الأموال لمحاربة صلاح الدين وإعادة القدس وكان مقدارها ١٠٪ من كل دخل ومنقولات الشخاص باستثناء رجال الحملة الذين شاركو فيها للمزيد ينظر : Fred A. Cazel, The Tax of 1185 in Aid of the Holy Land, Speculum, Vol, 30, No. 3 ,Jul, 1955, p. 385.

١. على كل شخص أن يتصدق بعشر إيجاراته ومنقولاته، ما عدا الأسلحة والخيول وملابس العسكر، وكذلك الخيول والكتب والملابس وسائر أنواع المستلزمات الاحجار كريمة لرجال الدين والعلمانيين.

٢. يتم جمع هذه الأموال في كل مكان بحضور القس ورئيس القساوسة وفرسان الإسبتارية، وخادم الملك وكاتبه وخادم البارون وكاتبه، ومن يخالف يقابل بالحرمان الكنسي.

٣. أما القساوسة والجنود الذين قبلوا الصليب فلا يعطوا شيئًا من تلك العشور.

كما حمل مرسوم عشور صلاح الدين الفئات المشمولة والمتمثلة كل شخص، سواء كان كاتبًا، أو علمانيًا، فارسًا أو غير فارس، فعليه أن يدفع عُشر منقولاته وإيجاراته، ويُستثنى من ذلك، المشاركون في الحملات الصليبية والرهبان والمصابون بالجذام، وإذا رفض أي شخص دفع ذلك العُشر فيجوز القبض عليه والتصرف بأمواله من قبل السلطات كما تراه مناسبًا(١).

مما يدعوا للغرابة في فرض ضريبة عشور صلاح الدين أن تلك الضريبة كانت موجهة إلى رعايا الملك دون استثناء وبما ان غالبية رعاياه من المسيحيين كان يتوجب ان يكون عليهم النصيب الأكبر في جمع تلك الضرائب، إلا أن الذي حدث كان عكسيًا فباعتبار اليهود كانوا بمثابة منقولات الملك كان عليهم أن يدفعوا مبالغ باهظة عن طريق الأموال التي يحصلون عليها من رعاياه، وبذلك كان الملك

(1) Stephen Dowell, A Sketch of the History of Taxes in England from the Earliest Times to the Present Day, VOL. I, Longmans, Green, and Company, London, 1876, p.p.58-59.

يستخدمهم وسيلة لتحصيل الأموال من رعاياه المسيحيين وايداعها في الخزنة الملكية من جهة، وتحصيل الضرائب الطارئة من جهة أخرى(١).

نتيجة لذلك دفع اليهود في انكلترا (٦٠,٠٠٠) الف جنيه إسترليني لعشور صلاح الدين في حين كان المبلغ الإجمالي المستحق على البلاد كلها يمثل (٧٠,٠٠٠) الف جنيه إسترليني(٢)، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن المبلغ الضخم الذي توجب على اليهود دفعه والمذابح التي تلت ذلك أسهمت في تقليص القدرة المالية لليهود في إنكلترا إلى حد كبير، بل افقرت تلك الضرائب الباهظة اغلب الممولين اليهود في إنكلترا(٣).

كانت عشور صلاح الدين كما كانت معروفة مختلفة عن الضرائب السابقة، فقد كانت المعدلات مرتفعة للغاية (١٠٪)، وكانت عملية جمع الضرائب مكثفة، وللمرة الأولى طالب الباباوات من رجال الدين دفع الضرائب بدلاً من التوصية بها أو حثهم عليها، وقد شكلت هذه الضريبة بشكل عميق أنظمة الضرائب العلمانية اللاحقة، كانت عشور صلاح الدين، بإدارتها القوية والمنظمة، نقطة تحول في تطور الضرائب غير الإقطاعية ففي إنكلترا غيّرت ضريبة صلاح الدين طريقة جمع الملوك الإنكليز للضرائب، وكان أحد الابتكارات هو الأساس للضرائب، إذ تم جمع ضريبة صلاح الدين بمعدل ثابت على الممتلكات الشخصية (المنقولات والإيرادات)، وكان على رجال الدين والعلمانيين أن يدفعوا، ففي حين كانت الضرائب السابقة

(1) William Edwards, Notes on British History, Part 1, Prehistoric Times to Richard III, 1485, Rivingtons, London, 1909, p.156.
(2) William Edwards, Op. Cit., p.156.
(3) Salo Wittmayer Baron, A social and religious history of the Jews, Jewish Publication Society of AmericaColumbia University, New York and London, 1965, p.95.

على الأراضي (الضرائب على الأراضي) والضرائب التي كانت تفرض على الفرسان (ضرائب على الغنائم) مألوفة ومقبولة على نطاق واسع، كانت الضرائب الجديدة على الممتلكات الشخصية أكثر إثارة للجدل فضريبة صلاح الدين كانت بمثابة بداية عصر جديد في التاريخ المالي من حيث آلية التقييم وأساس الضريبة على المجتمع اليهودي(١).

لم يقتصر دور اليهود في الحروب الصليبية على تحصيل المال منهم عن طريق الضرائب، بل تم تحديد أكثر من ستين ممارسًا طبيًا شاركوا في احدى الحملات الصليبية، وجاء أولئك من فرنسا وإنكلترا وإيطاليا والمجر وإسبانيا وأماكن أخرى مما يعكس مستوى تطور الاحداث الاجتماعية والسياسية في أوروبا في القرن الثاني عشر والتي وردت في المراجع الصليبية، فبحلول نهاية القرن الثاني عشر، تؤكد السجلات ليس فقط على الأطباء متعددي المهارات، ولكن أيضًا على إدخال العديد من الجراحين المتخصصين والصيادلة اليهود في العمل ضمن الحملات الصليبية (٢).

يتضح مما سبق أن اليهود عانوا معاناة كبيرة خلال الحروب الصليبية، وعلى الرغم من ان معاناة يهود إنكلترا كانت اخف وطأة مما تعرض له اليهود في بلدان أوروبا الأخرى، لكونهم كانوا تحت الحماية الملكية، إلا انهم تعرضوا لأبشع صور الاستغلال ممن هم تحت حمايته، فالملك هنري الثاني الذي لم يفِ بوعوده المتكررة

(1) Anna M. Grzymała-Busse, Sacred Foundations The Religious and Medieval Roots of the European State, Princeton University Press, 2023, p.93.

(2) Piers D. Mitchell, Trauma and Surgery in the Crusades to the Medieval Eastern Mediterranean, Thesis Submitted for M.D. Degree, University of London, 2002, p.182.

للذهاب إلى القدس جعل من اليهود كبش فداء لتجميل صورته امام العالم المسيحي كونه ابرز الممولين لتلك الحملات الصليبية والتي وقعت على كاهل اليهود بشكل خاص، وليس ادل على ذلك من الضرائب المتتالية التي فرضت عليهم منذ عام ١١٥٩، وكان اخرها واشدها عشور صلاح الدين التي كبلت اليهود بمبلغ (٦٠,٠٠٠) جنيه إسترليني، وبالتالي أسهمت الضرائب التي مولت الحملات الصليبية في افقار اليهود بشكل كبير وجعلتهم عرضة للمذابح التي تعرضوا لها فيما بعد، فزادت الحروب الصليبية الاوضاع الاجتماعية، والاقتصادية بؤسًا أكثر مما كانوا عليه سابقًا.

Abstract

There is no doubt that economic and social factors have a significant impact on shaping historical events, as society forms the primary environment for the production of these events, and the economy acts as a driving force in various directions. The same applies to the study of Jewish history, as Jewish communities hold great importance in understanding the course of historical events related to this religion, as well as society at large—particularly in Europe during the Middle Ages, with England being the specific focus of this study.

The temporal framework of the subject entitled *"The Jews and Their Social and Economic Conditions in England (1154–1290 AD)"* is defined from the year 1154, which marks the beginning of the Jewish community's formal association with the English monarchy, especially under King Henry II. He treated the Jews as his subjects and financial resources, granting them protection and the freedom to conduct their business. This year thus represents a crucial starting point for examining the social and economic conditions of the Jews. The temporal scope of the dissertation concludes in 1290, a year preceded by significant events affecting Jewish communities in England socially and economically. During this period, the Jews lost many of their privileges and influence that they had enjoyed from the mid-12th century until the end of the 13th century, when royal and ecclesiastical decrees stripped them of most of their property and rights, culminating in the expulsion of Jews from English territories at the beginning of 1290, marking the end of the dissertation's timeframe.

The history of Jews in Europe during the Middle Ages, particularly in England, is characterized by considerable ambiguity and difficulty due to the scarcity of historical

writings on this subject compared to other aspects of European history. This dissertation focuses on the social and economic conditions of Jews in England due to the scientific importance of this field in understanding their stability in the country, their coexistence with the largely unaccommodating Christian English society, the nature of their occupations, and their efforts to establish closer relations with the English crown. It examines how material factors were employed to gain royal protection and support, the social conflicts between Jews and Christians—especially during the Crusades, when Jews were often compelled to contribute and finance these campaigns—and the study of usury through the interest-based loans practiced by Jews in their commercial activities, which were forbidden to Christians. Ultimately, these factors contributed to Christian animosity toward Jews and the desire for revenge.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Diyala
College of Education for Human Sciences
Department of History / Postgraduate Studies

The Jews and Their Social and Economic Conditions in England (1154–1290 AD)

A Dissertation Submitted
to the Council of the College of Education for Human Sciences – University of Diyala
in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy in Modern History

Submitted by:

Saad Jameel Khalaf Jameel Al-Hayali

Supervised by: Prof. Dr.

Professor Dr. Wissam Ali Thabit Al-Jubouri

2025 AD **1447 AH**